فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

المقدمـة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله ومن والاه وبعد:

فهذه قصائد قتلت أصحابها، وسفكت دماءهم وقطعت رؤوسهم؛ لأنهم لحنوا لحناً فاحشاً لا يصلحه الخليل ولا سيبويه؛ إنهم لم يراعوا أمانة الكلمة ولم يحسبوا مسؤولية النطق، ولم يحفظوا اللسان، وإن بيتاً أزهق روح صاحبه لهو خطير، وإن قصيدة قضت على حياة قائلها لهي معضلة.

إن لهذه القصائد عبرة لشداة الحرف ورواد القافية وحملة الأقلام تقول لهم: مصائب قوم عند قوم فوائد، ألا هل من محاسب لنفسه، رادع لهواه، ملجم لشيطانه، فإن للقول مؤونة، وللنطق تبعة، وللسان عثرات، إن الحروف تكتب، وإن الجمل تسجل عند من لا تغيب عليه غائبة ولا تخفى عليه خافية ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ وفي الحديث: «**كف عليك لسانك**».

ولقد سجل القرآن كلمات أهلكت أصحابها، فاللعين الطريد إبليس يقول: «أنا خير منه» فدحر وعذب، والرعديد الخاسر فرعون يقول: «ما علمت لكم من إله غيري» فهلك ولعن، والفاشل عبدالله بن أبي يقول: «ليخرجن الأعز منها الأذل»، فكبت وخزي،

والمخذول الآخر يقول: «إئذن لي ولا تفتني» فأبعد وخسئ، والغبي الضال يقول: «لا تنفروا في الحر» فشقي وتعس، إلى آخر تلك القائمة الخائبة من اللافظين باللغو، والناطقين بالزور، والمتحدثين بالخطيئة.

فقيد ألفاظك، وراقب أفكارك، واحسب للكلمة حساباً، فإن الزلة ذلة، وخطل الكلم يوجب الندم، وهيا مع الكتاب لترى كيف يصرع الفحش صاحبه، وكيف يبيد الإثم حامله، وكيف يحيق الذنب بمقترفه، وكل نفس بما كسبت رهينة.

عائض القرني

١٤٢٣/١/١هـ



ترجمتـه [١]

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجُعفي الكندي الكوفي، من بني جعفر بن سعد العشيرة بن مذحج من كهلان من قحطان من عرب الجنوب اليمنيين.

كانت ولادته في حي بني كندة بالكوفة سنة (٣٠٣هـ)، وقضى في ربوعها سني حياته الأولى، وكان يتردد فيها على الورَّاقين يجمع العلم من أوراقهم.

انتقل إلى الشام سنة (٣٢٠هـ)، وما كاد يصل إلى اللاذقية حتى تورط في قصة النبوة ودخل من أجلها السجن بأمر من عامل الأخشيد، الذي ما لبث أن استتابه وأطلق سراحه بعد أن ذاق المتنبي الأهوال، ورأى الموت رأي العين.

بعد خروجه من السجن هام على وجهه، إلى أن حط عصا الترحال في حضرة بدر بن عمار سنة (٣٢٨هـ).

ثم تنَّقل بين البلدان، مادحاً أمراءها ووجهاءها.

---

(١) الكتب المؤلفة عن حياة المتنبي لا تحصى عدداً، انظر مجموعة منها في رسالة الدكتور عبدالله الجبوري: «أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين».

اتصل بعد ذلك بسيف الدولة الحمداني سنة (٣٣٧هـ)، الذي جعله نديماً له في حلب، فمدحه المتنبي بالقصائد الشهيرة التي أبقت ذكره.

إلا أن الحسَّاد سرعان ما أفسدوا علاقته بسيف الدولة، وأوغروا صدره عليه، فاستجاب لأقوالهم وتلوَّن عليه، ولم يثبت معه على حال، فلم يجد المتنبي بعد ذلك إلا الرحيل، وخصوصاً بعد أن رماه أحدهم بدواة أو مفتاح أسال الدماء على وجهه في مجلس سيف الدولة الذي لم ينتصر له، فغضب أبوالطيب وغادر حلب متوجهاً إلى دمشق سنة (٣٤٦هـ).

ثم توجه بعد ذلك إلى مصر بعد أن استدعاه واليها (كافور الأخشيدي)، فقصر مديحه عليه طامعاً في ولاية عنده، إلا أن كافوراً أخذ يماطله قائلاً لمن راجعه في هذا الأمر: «هو - أي المتنبي - في الفقر وعدم العون سمت نفسه إلى النبوة، فكيف يكون أمره إذا أصاب الولاية؟!»

فلما استيقن المتنبي أن كافوراً لن يحقق له مطالبه أضمر الهرب من أرض مصر بعد أن زوّر قصائد الهجاء المقذع في كافور، وأخذ يرسلها في الآفاق بعد هروبه ذاك.

عاد المتنبي إلى العراق، فدخل الكوفة - مسقط رأسه - سنة (٣٥١هـ)، ثم انتقل منها إلى بغداد، ثم إلى فارس مادحاً عضد الدولة.

بعدها عاد إلى بغداد، وعندما أصبح على مقربة من (دير العاقول) الذي يبعد عن بغداد مسافة خمسة عشر فرسخاً هجم عليه فاتك الأسدي وقتله ـ كما سيأتي ـ.

أما لقبه بالمتنبي فقد قيل فيه أمور كثيرة: أصحها أنه ادعى النبوة في بداية حياته إلى أن سُجن واستتيب ـ كما سبق، قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عن المتنبي: «وقد اشتهر بلفظة تدل على كذبه فيما كان ادعاه من الإفك والبهتان وهي لفظة المتنبي، الدالة على الكذب».

يعد المتنبي من أشعر أهل العربية، وأشهرهم أبياتاً بين الناس، حتى قال عنه الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ: «شاعر الزمان»، وقال ـ أيضاً ـ: «بلغ الذروة في النظم، وأربى على المتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق».

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في ترجمته في (لسان الميزان): «نظم الشعر حتى بلغ الغاية، إلى أن فاق أهل عصره».

ومن أشعاره التي سارت في الآفاق، قوله[١]:

أعز مكان في الدنا سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

---

(١) من أراد الاطلاع على أبياته الجميلة فعليه برسالة: (من طيبات المتنبي) للأستاذ إبراهيم الألمعي، ورسالة: (المتنبي: حِكَمه وأمثاله) للأستاذ علي رضا.

وقوله:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم

ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

* إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

* ووضع الندى في موضع السيف بالعلى

مضرٌ، كوضع السيف في موضع الندى

وقوله:

عيد بأية حال عدت يا عيد

بما مضى أم بأمر فيك تجديد

وقوله:

* وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ

فهي الشهادةُ لي بأني كاملُ

وقوله:

لا تعذلِ المشتاق في أشواقه

حتى يكون حشاك في أحشائه

وقوله:

أنا السابق الهادي إلى ما أقوله
إذا القول قبل القائلين مقولُ

وقوله:

وإن تفق الأنام وأنت منهم
فإن المسك بعض دم الغزالِ

وقوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

وقوله:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فسار به من لا يسير مشمراً
وغنى به من لا يغني مغرّداً

وقوله:

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ
فليسعد النطق إن لم تسعد الحالُ

وقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قــدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظائم

وقوله:

بم التـــعلل لا أهل ولا وطنُ

ولا نـديم ولا خـل ولا ســكنُ

وقوله:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً

وحـسب المنايا أن يكنَّ أمـانيـا

تمنيـتـهـا لما تمنيت أن ترى

صديقاً فأعْيَا أو عدواً مداجياً

وقوله:

عـدوك مـذمـوم بكل لسـان

ولو كـان مـن أعـدائك القـمـرانِ

ولله ســر في عــلاك وإنما

كلام العِدَى ضرب من الهـذيانِ

وقوله:

غـريـب من الخـلان في كل بـلدة

إذا عظم المطلوب قل المسـاعـد

وقوله:

إني وإن لمت حـاسـدي فـمـا

أنـكـر أنـي عـقـوبـة لهمُ

وقوله:

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني

فـلا أعـاتبـه صـفـحـاً وإهوانا

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني

إن النفـيس غـريب حيـثمـا كانا

وقوله:

سـوى وجع الحـسـاد داو فـإنه

إذا حل في قلب فليس يحـولُ

ولا تطمعن من حاسد في مودة

وإن كنت تبـديهـا له وتنيلُ

وقوله:

لولا المشـقـةُ سـاد الناس كلهمُ

الجـود يفـقـر والإقـدام قـتّـالُ

وقوله:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدواً له ما من صداقته بدُ

وقوله:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقوله:

أحقُّهم بالسيف مَنْ ضرب الطُّلى

وبالأمن من هانت عليه الشدائد

وقوله:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم

وقوله:

من اقتضى بسوى الهندي حاجته

أجاب كل سؤال عن هل بلم

وقوله:

لا يدرك المجد إلا سيد فطن

لما يشق على السادات فعّالُ

وقوله:

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

وقوله:

ذل من يغبط الذليل بعيش

رب عيش ألذ منه الحمام

وقوله:

يرى الجبناء أن العجز عقل

وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقوله:

جود الرجال من الأيدي وجودهمُ

من اللسان فلا كانوا ولا الجود

وقوله:

* ومن العداوة ما ينالك نفعه

ومن الصداقة ما يضر ويؤلمُ

وقوله:

إذا اشتبكت دموع في خدود

تبين من بكى ممن تباكى

وقوله:

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا

وعناهم من شأنه ما عنانا

وتولّوا بغصّةٍ كلهم منْـ

ـهُ وإن سر بعضهم أحيانا

وقوله:

أمـــا تغلَطُ الأيامُ فِيَّ بأنْ أرَى
بغـيضاً تُنائي أو حـبيباً تقـربُ

وقوله:

أريـد مـن زمـني ذا أن يـبـلـغـني
مـا ليس يبلغه من نفسه الزمن

وقوله:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ

وقوله:

جـزى الله المسيـر إليك خيـراً
وإن تـرك المطـايا كــــالمزاد

وقوله:

يهون علينا أن تُصاب جُسُومنا
وتسلم أعـراض لنا وعــقــول

وقوله:

يا من يعـز علينا أن نفـارقـهم
وجـداننا كل شيء بعـدكم عـدمُ

وقوله:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد
أطويل طريقنا أم يطول

وكثير من السؤال اشتياق
وكثير من رده تعليل

وقوله:

أروح وقد ختمت على فؤادي
بحبك أن يحل به سواكا

وقوله:

نثرت ثلاث ذوائب من شعرها
في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت بدر السماء بوجهها
فأرتني القمرين في ليل معا

وقوله:

لك يا منازلُ في القلوب منازل
أقفرت أنت وهن منك أواهل

وقوله:

ويحتقر الحساد عن ذكره لهم
كأنهم في الخلق ما خلقوا بعدُ

وقوله:

ورفلت في حلل الثناء وإنما

عدم الثناء نهاية الإعدام

وقوله:

كأنهم يردون الموت من ظمأ

وينشقون من البارود ريحانا

وقوله:

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربُّه

وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

وقوله:

وإطراق طرف العين ليس بنافع

إذا كان طرف القلب ليس بمطرق

وقوله:

كأن كل سؤال في مسامعه

قميص يوسف في أجفان يعقوب

وقوله:

كَفَلَ الثناءُ له بردِّ حياتِه

لمَّا أنطوى فكأنهُ منشورُ

وقوله:

كثير سهاد العين من غير علة

يؤرقه فيما يشرفه الفكر

وقوله:

وما كنت ممن يدخل الحب قلبه

ولكنّ من يبصر جفونك يعشق

وقوله:

ألذ من الصهباء بالماء ذِكْرُهُ

وأحسن من يُسْرٍ تلقَّاه مُعدِمُ

وقوله:

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى

وما الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا

وقوله:

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته

فسرَّهُم وأتيناهُ على الهرمِ

وقوله:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها

مصائب قوم عند قوم فوائد

وقوله:

ولو كان النساءُ كمن فقدنا

لفضلت النساءُ على الرجالِ

فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ

ولا التذكيرُ فخر للهلالِ

وقوله:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته

ما قاته وفضول العيش أشغالُ

وقوله:

وقد أطالَ ثنائي طولُ لابسِه

إن الثناءَ على التنبالِ تنبالُ

وقوله:

إذا تغلغل فكر المرء في طَرَفٍ

من مجده غرقتْ فيه خواطرُه

وقوله:

تمنٍّ يلذ المستهام بذكره

وإن كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي

وغيظ على الأيام كالنار في الحشا

ولكنه غيظ الأسير على القِدِّ

وقوله:

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه

إذا اتسعت في الحلم طُرْقُ المظالمِ

وأن ترد الماء الذي شطره دمٌ

فتُسقى إذا لم يُسْقَ من لم يُزاحِمِ

ومن عـرف الأيام مـعـرفـتي بهـا
وبالنـاس روّى رمحـه غيـرَ راحمِ

فـليس بمرحــوم إذا ظَفِــروا بـه
ولا في الردى الجاري عليهم بآثمِ

وقوله:

إن كـان قـد ملـك القلوب فـإنه
ملـك الزمـان بـأرضـه وسـمـائهِ

الشمس من حساده والنصر من
قـرنائه والسـيف من أسـمـائهِ

أين الثـلاثة من ثلاث خـلالـه
مـن حــسنه وإبائـه ومــضـائـهِ

مـضت الدهور ومـا أتين بمثله
ولقـد أتى فـعـجـزن عن نظرائهِ

وقوله:

وأنا الذي اجـتلب المنيـةَ طرفُـه
فمن المطالب والقـتيل القـاتلُ ؟!

وقوله:

قد كنت أشفق من دمعي على بصري
فـاليـوم كل عـزيز بعـدكم هـانا

وقوله:

وما شَرَقي بالماء إلا تذكّراً

لماء به أهل الحبيب نزولُ

وقوله:

المجدُ عوفي إذ عوفيت والكرمُ

وزال عنك إلى أعدائك الألمُ

وقوله:

وما أخصك في برءٍ بتهنئة

إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقوله:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً

على الدر واحذره إذا كان مزبدا

فإني رأيتُ البحر يعثر بالفتى

وهذا الذي يأتي الفتى متعمّدا

تظل ملوك الأرض خاشعة له

تفارقه هلكى وتلقاه سجّدا

وقوله:

ذي المعالي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تعالى

هكذا هكذا وإلا فلا لا

شــرف ينطح النجــوم بِرَوْقَــيْـ
ـه ِ وعــزٌ يقلقل الأجــبــالا

وقوله:

تريدين لقيان المعالي رخيصة
ولابد دون الشهد من إبر النحلِ

وقوله:

ومـا صـبـابـة مـشـتـاق على أمل
من اللقـاء كـمـشـتـاق بلا أمل

وقوله:

خلقتُ أَلُوفا لو رجعت إلى الصبا
لفارقت شيبي مُوجَع القلب باكياً

وقوله:

رمــانـي الدهر بالأرزاء حــتـى
فــؤادي في غــشــاء من بنال
فــصــرت إذا أصـابتني سـهـام
تكسـرت النصـال على النصـال

وقوله:

مَن يَهُن يَسْـهُل الهَـوانُ عليْـهِ
مــا لجُــرح بميتٍ إيلامُ

وقوله:

أفاضلُ الناسِ أعراضٌ لذا الزمن

يخلو من الهمِّ أخلاهُم من الفِطَنِ

وقوله:

والهَمُّ يخْتَرِمُ الجسيمَ نحافةً

ويشيبُ ناصيةَ الصَّبي ويُهرِمِ

وقوله:

والظلمُ من شِيَم النفوس فإن تَجِدْ

ذا عِفةٍ فَلعلَّةٍ لا يظلِمُ

وقوله:

ومن البليةِ عَذْلُ من لا يرعوي

عن جهله وخطاب من لا يفهمُ

وقوله:

وكلُ شجاعةٍ في المرء تغنيْ

ولا مثلَ الشجاعةِ في الحكيمِ

وقوله:

وكمْ مِنْ عائبٍ قولاً صحيحاً

وآفتُه من الفَهْمِ السقيمِ

وقوله:

وإذا لـم يـكـن مـن المـوتِ بُـدٌ

فـمن الـعـجـزِ أن تكون جـبـانا

وقوله:

* من كان فوق محل الشمس موضعُهُ

فليس يـرفـعُـهُ شيءٌ ولا يضعُ

وقوله:

لعل عـتـبك مـحـمـود عـواقبـه

وربما صـحـت الأجـسـام بـالعللِ

وقوله:

وليس يصح في الأفـهـام شيء

إذا احـتـاج الـنـهـار إلى دليل

وقوله:

* وإذا مـا خـلا الجـبـانُ بأرضٍ

طلب الطعن وحـده والـنـزالا

وقوله:

الرأي قبل شـجـاعة الشـجـعانِ

هـو أولٌ وهـي المحـل الثـاني

وقوله:

ولـربما طَعَنَ الـفـتى أقـرانَه

بـالـرأي قـبل تَطَاعُنِ الأقـرانِ

وقوله:

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الإنسانِ

وقوله:

إذا الجود لم يُرْزَق خلاصاً من الأذى
فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقياً

وقوله:

وللنفس أخلاق تدل على الفتى
أكان سخاء ما أتى أم تساخيا

وقوله:

فما الحداثة من حلم بمانعةٍ
قد يُوجد الحلم في الشُّبانِ والشيبِ

وقوله:

إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونُه
وصدَّق ما يعتاده من توهمِ

وقوله:

إنما تنجح المقالة في المر
ءِ إذا صادفت هوىً في الفؤادِ

وقوله:

وكل امرئ يولي الجميل محببٌ

وكل مكان ينبت العز طيبُ

وقوله:

غير أن الفتى يلاقي المنايا

كالحات ولا يلاقي الهوانا

وقوله:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً

كنقص القادرين على التمام

وقوله:

وللسر مني موضع لا يناله

نديم ولا يفضي إليه شراب

وقوله:

ومن جهلت نفسُه قدرَه

رأى غيرهُ منه ما لا يرى

وقوله:

ولم تزل قلةُ الإنصافِ قاطعةً

بين الرجال ولو كانوا ذوي رحمِ

وقوله:

ذريني أنل ما لا ينال من العُلى

فصعب العلى في الصعب والسهل في السهلِ

وقوله:

تمرستُ بالآفات حتى تركتها
تقول: أمات الموت أم ذعر الذعر
ولا تحسبن المجد زقّاً وقينة
فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتركك في الدنيا دويّاً كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشر

وقوله:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقوله:

تصفو الحياة لجاهل أو غافل
عما مضى فيها وما يتوقع

إلى غير ذلك من الأشعار والأبيات الجميلة التى لا يمل المرء من سماعها أو تردادها.

وهذا الشاعر هو الأول عندي وعند كثير ممن سبقنا من العلماء والأدباء، بل له السيادة في الشعر، وقد ألفت عنه كتاباً سميته: إمبراطور الشعراء، وقد طبق الخافقين ذكره وأخمل الشعراء شعره وصارت أبياته أشهر من الأمثال وأقتل من الآجال وأجمل من الآمال.

فهو في الأدب إمام، وفي الشعر كعبة ومقام، فعند ذكره لا امرؤ القيس ولا بحتري ولا أبو تمام، فهو شاعر الأيام، وقد شهدت بذلك الأقلام.





مقتله

المتنبي واحد من الذين قتلتهم قصائدهم، ولعل من الملفت للنظر أنه لم يلق حتفه على يد كافور أو حاشيته ممن كانت تدين له أرض مصر، رغم ما سلطه المتنبي عليه من أهاج مدوِّية ترددت على الألسنة، إنما كان حتف هذا الشاعر البائس على يد رجلٍ من عامة الناس ثأر لقريب له سلقه المتنبي بلسانه، فانظر إلى المفارقة.

والقصيدة القاتلة هجا بها المتنبي رجلاً يُدعى (ضبة بن يزيد العيني)، فأفحش في القول وأقذع.

يقول المتنبي:

ما أنصف القومُ ضبّة
وأمَّه الطُرْطُبَّهْ[1]

فلا بمن مات فخرٌ
ولا بمن عاش رَغبهْ

وإنما قلتُ ما قلـ
ـتُ رحمةً لا محبهْ

وحِيلةً لك حتى
عُذِرتَ لو كنت تِيْبهْ[2]

---

(١) الطُرطبة: القصيرة الضخمة، المسترخية الثديين!

(٢) تيبه: أي تفطن. أي: قلت ذلك حيلة ليعذرك الناس.

وَمَــنْ يُــبَــالِي بِــذَمٍّ
إذَا تَعَــوَّدَ كَــسْــبَــهْ

أمَا تَرَى الخَيْلَ في النَّخـ
ـل سُــرْبَةً بَعْــدَ سُــرْبَهْ

فَــسَلْ فُــؤادَكَ يَا ضَــبـ
ـبَّ أيْنَ خَلَّفَ عُــجْــبَــهْ[1]

وَإنْ يَــخُنْــكَ لَعَــمْــرِي
لَطَالَمَا خَــانَ صَــحْــبَــهْ[2]

وَكَــيْفَ تَرْغَبُ فِــيــه
وَقَــدْ تَبَــيَّنْتَ رُعْــبَــهْ[3]

مَــا كُــنْتَ إلاَّ ذُبَــابَاً
نَفَــتْــكَ عَنَّا مِــذبَّهْ[4]

وَكُنْتَ تَفْــخَــرُ تِيــهَــاً
فَــصِــرْتَ تَضْــرِطُ رَهْبَــهْ

---

(١) ضب: ترخيم ضبَة، خلّفه: تركه خلفه، العجب: التيه والكبر.
(٢) عمري: قسم، وهو مبتدأ محذوف الخبر قام مقامه جوابه، الصحب: جماعة الأصحاب، أي إذا خانك قلبك وخذلك في شجاعة الإقدام علينا فهو متعوِّد أن يخون أصحابه.
(٣) ضمير فيه لفؤادك، أي هو لا نفع فيه ولا خير لك في اصطحابه.
(٤) المذبة: ما يطرد بها الذباب.

وَإنْ بَعُدْنَا قليلاً
حَملْتَ رُمْحاً وَحَرْبَهْ(١)

وَقُلْتَ: لَيْتَ بكَفِّي
عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَهْ(٢)

إنْ أوْحَشَتْكَ الْمَعَالِي
فَإنَّها دَارُ غُرْبَهْ

أوْ آنَسَتْكَ الْمَخَازِي
فَإنَّها لَكَ نِسْبَهْ(٣)

وَإنْ عَرَفْتَ مُرَادي
تَكَشَّفَتْ عَنْكَ كُرْبَهْ(٤)

وَإنْ جَهِلْتَ مُرَادي
فَإنَّهُ بِكَ أشْبَهْ(٥)

هذا ما قاله المتنبي في (ضبة) المذكور، وهو كما نقل ابن العديم: «ما للمتنبي شعر أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً، فكان على سخافته وركاكته سبب قتله وقتل ابنه وذهاب ماله».

---

(١) أي يعود إليك عجبك حال ابتعادنا عنك فتحمل سلاحك وتطلب المبارزة متحدياً.
(٢) العنان: سير اللجام، الجرداء: القصيرة الشعر، الشطبة: الطويلة.
(٣) المخازي: الأفعال القبيحة.
(٤) أي إذا عرفت مرادي زال عنك الكرب الناتج عن جهلك لما أقول.
(٥) أي إذا جهلت مرادي فالجهل أليق بحالك؛ لأنك لست من أصحاب الفهم.

لمّا سمع فاتك الأسدي (خال ضبة) بهذا الشعر داخلته الحمية لابن أخته (ضبة)، فقرر الثأر له بقتل المتنبي، ولندع الربعي يروي لنا قصة مقتل المتنبي عمن عاصر أحداثها: وهو محمد بن المبارك الجُبُّلي[١].

قال الجُبُّلي:

«وأمَّا ما سألتما عنه من خبر مقتل أبي الطيب ـ رحمه الله ـ، فأنا أنْسُقُهُ لكما وأشرحه شرحاً بَيِّناً.

اعلما أنّ مَسيره كان من واسطٍ في يوم السبت لثلاث عَشْرَة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، قُتِلَ بِبُنْيزع،[٢] ضيَعْةٍ تَقْرُبُ من دير العاقول، في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مئة. والذى تولَّى قتلَه وقتلَ ابنه وغلامه رجلٌ من بني أسَد يقال له «فاتك بن أبي الجهل بن فِراس بن بَداد». وكان من قوله لمّا قتله وهو مُنْعَفِرٌ: «قُبْحاً لهذه اللحية يا سَبَّاب!»، وذلك أنّ فاتكاً هذا قَرابَةٌ لوالدة «ضَبَّة بن يَزيد العَيْني» الذي هجاه المتنبي بقوله:

---

(١) انظر ترجمة المتنبي للربعي منشورة في خاتمة كتاب (المتنبي) للأستاذ محمود شاكر ـ رحمه الله ـ (٥٨٥ ـ ٦٠٤).

(٢) في المخطوطة «بنيزع» بالنون، وهو كذلك في ديوان المتنبيّ (عزام) هامش ص:٥٨٧، ٥٨٨، غير أن ياقوتاً الحموي اقتصر على ذكرها في حرف الباء، نقلاً عن خط أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي صاحب هذا الخبر.

مَـا أنْصَفَ القَـوْمُ ضَـبَّـهْ
وَأمَّــــهْ الـطُّـرْطُـبَّـــة

ويقال: إن «فاتكاً» خالُ «ضبَّةَ»، وإن الحميَّة داخلته لما سمع ذكْرَها بالقبيح في الشعر، وما للمتنبي شعرٌ أسخفَ من هذا الشعر ولا أوْهَى كلاماً، فكان على سخافته وركاكته سببَ قتْله وقتلِ ابنه وذَهابِ ماله.

وأمَّا شرحُ الخبر: فإن «فاتكاً» كان صديقاً لِي، وكان كما سُمِّي فاتكاً لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال، فلما سمع الشعرَ الذي هُجيَ به «ضَبَّةُ» أحفظه ذلك واشتدَّ عليه، ورَجَعَ على «ضَبَّةَ» باللوم، وقال له: قد كان يجبُ أن لا تجعلَ لشاعر عليك سبيلاً! وأضمر غيرَ ما أظهر، واتَّصل به خَبَرُ انصرافِ المتنبي من بلد فارسَ إلى العراق، وأنّ اجتيازه بجُبَّل ودير العاقول، فلم يكن ينزل عن فرسه.

وجماعة من بني عَمِّه رأيُهم في المتنبي مثل رأيه في طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد، وكان فاتك يتحرَّى خوفاً أن يفوته.

وكان كثيراً ما يجيئني وينزل عندي، فقلت له يوماً - وقد جاءني وهو يسأل قوماً مُجْتازين عنه -: قد أكثرت المَسْألةَ عن هذا الرجل، فأيُّ شيء عزمك أن تفعله متى لقيتَهُ؟

قال: ما عزمي إلا للجميل، وأنْ أعذُلَه على ما أفحش فيه من الهجاء.

فقلت له: هذا الأليقُ بأخلاقك والأشبهُ بأفعالك.

فتضاحك ثم قال: والله يا أبا نصر، لئن اكتحلت عيني به أوْ جمعتني وإيّاه بقعةٌ لأسفكنَّ دمه ولأمْحَقَنَّ حياته، إلا أن يُحال بيني وبينه.

فقلت له: كُفَّ ـ عافاكَ الله ـ عن هذا القول، وارجع إلى الله، وأزلْ هذا الرأي من قلبك، فإن الرجل شهير الاسم بعيدُ الصوت، وقَتْلُكَ إيَّاه في شعرٍ قاله لا يحسُن، وقد هجت الشعراءُ الملوكَ في الجاهلية والخلفاءَ في الإسلام، فما علمنا أن شاعراً قُتِلَ بهجاءٍ (وقد قال الشاعر):

هَجَوْتُ زُهَيْراً ثم إنّي مَدَحْتُهُ
ومَا زَالَتِ الأشرافُ تُهْجى وتُمْدَحُ

ولم يبلغ جُرْمُهُ ما يوجب قَتْلَه!

فقال: يفعلُ الله ما يشاء! وانصرف.

فلم يمضِ لهذا القول إلاّ ثلاثة (أيَّام حتى وَافى) المتنبي ومعه بِغَالٌ مُوقَرَةٌ كُلَّ شيء من الذهب والفضة والثياب والطِّيب والجوهر والآلة؛ لأنه إذا (كان مسافراً لم يُخَلِّف) في منزله درهماً ولا ديناراً ولا ثوباً ولا شيئاً يُساوي درهماً واحداً فما فوقه، وكان أكثُر

إشْفاقه على دفاتره، (لأنه كان قد انتخبها) وأحكمها قراءةً وتصحيحاً.

قال: فتلقَّيْتُهُ وأنزلْتُه داري وساءَلْتُه عن أخباره؟ وعمَّن لقي؟ وكيف وجد مَنْ قَصَدَه؟ (فعرَّفني) من ذلك ما سُررت به، وأقبل يصف لي ابن العميد وفضلَه وأدبَه وعلْمَه وكرمَه ، وسَماحة المَلِك أبي شجاع فنَّاخُسْرَوْ، ورغبَتَهُ في الأدب ومَيْلَه إلى أهله.

فلما أمسينا قلت له: على أي شيء أنت مُجْمِعٌ؟

قال: على أن أتَّخذ الليل جملاً، فإن السير يخفُّ فيه عليَّ.

قلت: هذا هو الصواب - رَجَاء أن يُخْفِيَهُ الليلُ، ولا يصبحُ إلا وقد قطع بلداً بعيداً - والوَجْهُ أن يكون معك من رَجَّالَة هذه المدينة الذين يَخْبُرونَ الطريقَ ويعرفون المواضع المَخُوفة فيه، جَماعَةٌ يمشون بين يديك إلى بَغْداد.

فقطَّب وقال: ولم قلتَ هذا القول؟

قلت: تستأنس بهم.

قال: أمَّا والجُرازُ في عنقي فما بي حاجة إلى مُؤنسٍ غيره.

قلت: الأمر كما تقول، والرأي فيما أشرتُ به عليك.

فقال: تلويحك هذا يُنْبِي عن تعريض، وتعريضك يُخْبِر عن تصريح، فعرِّفني الأمَر وبيِّن لي الخَطْب.

قلت: إن هذا الجاهل «فاتكاً الأسديّ» كان عندي منذ ثلاثة أيام، وهو مُحْفَظٌ عليك لأنك هجوت ابنَ أخْتِه، وقد تكلَّم بأشياءَ توجب الاحتراس والتيقُّظ، ومعه أيضاً نحو العشرين فارساً من بني عمّه قَوْلُهُمْ مِثْلُ قَوْله ـ قال: وغلامه كان عاقلاً لبيباً فارساً يسمع كلامنا ـ فقال: الصوابُ ما رآه أبو نصر، خُذْ معك عشرين راجلاً يسيرون بين يديك إلى بغدادَ.

فاغتاظ غيظاً شديداً وشتم الغلامَ شتماً قبيحاً، وقال: والله لا تُحُدِّث عني أني سِرْتُ في خفارةِ غير سيفي.

فقلت له: يا هذا، فأنا أوَجِّهُ قوماً من قِبَلي في حاجة يسيرون بمسيرك ويكونون في خُفارتك.

قال: والله لا فعلتَ شيئاً من هذا. وقال لي: يا أبا نصر، أبخُروءِ الطير تُخَشِّيني، ومن عَبيد العصا تخاف عَليّ..! والله لو أن مِخْصَرَتي ملقاةٌ على شاطئ الفرات وبنو أسَد مُعْطشون لخَمس، وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيَّات، ما جَسرَ لهم خُفٌّ ولا ظِلْفٌ أن يَرِدَهُ..! حاشَ لله من فكر أشْغَلُه بِهِمْ لحظةَ العَيْن.

فقلت له: قل إن شاء الله.

فقال: كلمة مَقُولةٌ لا تَدْفع مقضيّاً ولا تستجلب آتياً! ثم ركب فكان آخر العهد به.

قال: «ولما صح عندي خبر قتله وجهت من دفنه وابنه وغلامه، وذهبت دماؤهم هدَرَاً» أهـ.

ويقال[١]: بأن المتنبي لما خرج عليه فاتك ورجاله أراد أن ينهزم، فقال له ابنه: يا أبهْ:

وأين قولك:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والطعن والضرب والقرطاس والقلمُ؟

فقال له: قتلتني يا ابن اللخناء!

ثم قاتل حتى قُتل.

فقيل: بأن هذا البيت هو الذي قتله.

وبعد: فقد قتل المتنبي لكن لم يقتل إبداعه وحكمته، وذبح أبو الطيب ولم تذبح عبقريته، لقد بقي معنا حيّاً بشعره ونبوغه وأمثاله وشوارده، ولكن العبرة من قتله أن على العاقل أن يحاسب لفظه ويراقب ربَّه، فبئس بشعر يقطع رأس صاحبه ويسيل دم قائله، أين بُعد النظر وتقليب عين البصيرة قبل الهذيان والثرثرة وإطلاق القول على عواهنه، وهذا المتنبي خسر نفسه من أجل أبيات زهيدة، فكيف بعذاب الله لمن أساء الأدب معه، وسب رسله وتعرض لأوليائه، إن أخسر الناس صفقة من باع دينه بدنياه، فأرسل لسانه بالإفك الأثيم، وهؤلاء ملوك الدنيا الفانية يغضبون

---

(١) انظر ترجمة المتنبي للربعي منشورة في خاتمة كتاب (المتنبي) للأستاذ محمود شاكر ـ رحمه الله ـ (٦٥١).

لملكهم، ولله المثل الأعلى وهو ملك الملوك وهو الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد، فويل لمن عصى ربه وحارب مولاه، وقدح في شرحه وسب رسله وشهد شهادة الزور ﴿ **سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** ﴾.

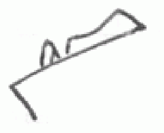
وقبل أن أودعك أيها القارئ أذكر لك قطعة أدبية عن المتنبي من كتابي إمبراطور الشعراء.

قلت: «ما رأيت عالماً فذاً جاء بعد المتنبئ إلا استشهد بشعره في معرض حديثه، من موعظة وتفسير، أو سلوك، أو تربية، أو تاريخ، وقد مسحت كتباً كثيرة شهيرة فإذا للمتنبئ عشرات الأبيات منثورة في غضون هذه المجلدات، مثل إحياء علوم الدين للغزالي فله عنده قرابة عشرين بيتاً، وابن الجوزي مغرم في كتبه بالمتنبئ، وابن حزم مولع بشواهده، وابن تيمية يهش لنوادره، ويورد بدائعه، وابن القيم ينتقي مقطوعات ثمينة في كتبه، وعلماء التراجم يوشحون السير بشعره، والمؤرخون تسعفهم أبياته عند العرض والاستنتاج، والوعاظ يهزون الناس بقوافيه، والملوك يديرون أدبه في مجالسهم، والأدباء يضمنون نتاجهم فيض المتنبئ، والكتاب يزينون مقالاتهم بتحفه الغالية. وبالجملة فلا أعلم شاعراً عربياً قديماً أو حديثاً شرق وغرب شعره، وخلد نتاجه كهذا الشاعر، شهادة يؤديها الأدباء، ويقوم بها الشعراء، ويصدقها أرباب البيان، وكأن المتنبئ يعني هذا لما قال في شعره:

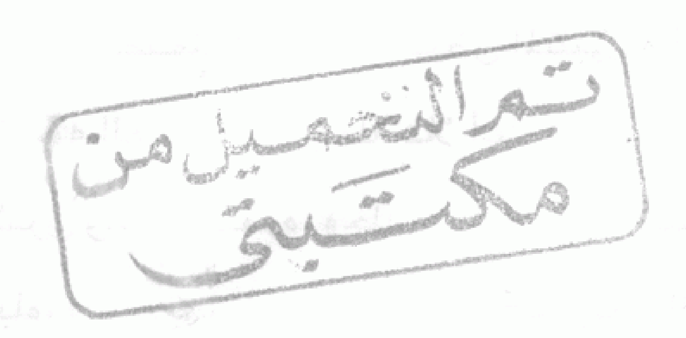
إذا قلتـه لم يمتنـع مـن وصـولـه
جـدار مـعلّـى أو خـبـاء مطـنّب

وقصدي من هذا الفصل إخبارك أن الشاعر الفذ هو من بقي حضوره، ودام ذيوعه، وفرض احترامه على محبيه، ووجوده على حاسديه، وكذلك كان المتنبئ، فهو أشهر شاعر سمع به الناس، واحتفلت بشعره المنابر، وهضمت جمله الدفاتر، وتشنفت بقوافيه الآذان، ولعلعت بقصائده المجالس ليصح في شعره قوله:

أنا الذي نظر الأعـمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم[1]







(١) إمبراطور الشعراء، ص٦٣ .

مقتل

طرفةَ بن العَبْد

اسمه ولقبه[١]

هو عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة.. بن بكر بن وائل.

وفي «الشعر والشعراء» نتوقف عند جده مالك، لنجد أن مالكاً هذا، هو ابن عباد بن صعصعة بن قيس بن ثعلبة.

أما طرَفَة فهو لقبه، والطرفة واحدة الطرف والطرفاء، وهو نوع من الشجر يشبه الأثل، وتتحمّض الإبل به إذا لم تجد حمضاً غيره.

وثمة من يذهب إلى أنه لقّب بطرفة ببيت قاله، وهو:

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطّرفا

ولا أميريكما بالدار إذ وقفا[٢]

وطرفة واحد من عدة شعراء عرفوا بهذا الاسم، منهم: طرفة ابن ألاءة بن نضلة بن المنذر، وطرفة الجذمي، من بني عبس، أو الخُزَيمي، من بني خزيمة بن رداحة، وطرفة العامري[٣].

---

(١) نقلاً عن (طرفة بن العبد، حياته وشعره) للدكتور يحيى شامي، بتصرف يسير، وانظر ترجمته موسعة في: طرفة بن العبد ـ دراسة وتحليل ـ للدكتور علي الجندي، ومعلقات العرب للدكتور بدوي طبانة، وشعراء النصرانية للويس شيخو، وطرفة بن العبد ـ حياته وشعره ـ للدكتور محمد علي الهاشمي، وطبقات فحول الشعراء، ص١٣٧ شرح محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة، والأغاني ٢١ / ١٨٥، والموشح، ص٥٧، ومعجم الشعراء، ص٢٠١، وخزانة الأدب ١ / ٤١٤ وغيرها.

(٢) البستاني، فؤاد أفرام: الروائع، ص١٩٨، عدد ٢٤، ط٤، المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٦١م.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٩٨ .

ولادته، رعايته، لهوه

ولد طرفة في البحرين، لكن تاريخ ولادته كان ـ ولا زال ـ موضع خلاف، فذهب بعضهم إلى القول إن ولادته كانت حوالي سنة ٥٤٣م، وذلك استناداً إلى ما شاع عن تسميته بـ «الغلام القتيل»، وإلى أنه قتل على عهد الملك الحيري عمرو بن هند، الذي حكم بين عامي ٥٦٢ أو ٥٦٤ و٥٧٦ أو ٥٧٨م. وإذا ما أخذنا بالرأي القائل إن عمرو بن هند حكم بين عامي ٥٥٤ و ٥٧٠م، فإن ولادة طرفة تكون مبكرة عن العام ٥٤٣م.

ومهما يكن من أمر، فإن طرفة كان صغيراً بين إخوة صغار لما توفي أبوه العبد، فكفلته أمه وردة، ورعاه أخوه معبد الذي ربما كان أكبر من طرفة، لكن أعمامه ضيّقوا عليه، وعضلوه عن التصرف بحصته من إرث أبيه، فقال في ذلك من شعر يصور نقمته وغضبه:

ما تنظرونَ بمال وردةَ فيكمُ
صَغُرَ البنونَ ورهطُ وردةَ غُيَّبُ

قد يبعث الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ
حتى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ

والظلمُ فرّق بين حيَّيْ وائلٍ
بكرٌ تُساقيها المنيّةَ تغلبُ

والصـدقُ يألفـه الكريم المرتجى
والكِذْب يألفـه الدَّنيُّ الأخـيبُ[١]

ولا يعني هذا القول أن طرفة حرم كل ما يملك، إذ نجد أنه، وبدافع من شرف محتده، وبما تحصَّل له من مال مطرف، راح يلهو وينفق بلا حساب، وتبع ذلك لذة وشراب، حتى نفد ماله ولم يبق منه سوى النزر القليل، وهذا ما اضطّر عشيرة الشاعر والأقربين منه إلى تحاميه وإبعاده، فأفرد، على حد تعبيره، إفراد البعير الأجرب:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها
وأفردت إفراد البعير المبعد[٢]

على أثر ذلك راح طرفة يطوّف بطول البلاد وعرضها حتى وصل ـ على ما ذكر ـ إلى بلاد الحبشة[٣]، بعيداً عن قومه. وأخيراً اضطر إلى العودة إليهم بعد أن أنفق جميع ماله، فرعى إبلاً لأخيه معبد لقاء أجر معلوم[٤]، لكنه أهمل رعايتها، وانصرف إلى نظم الشعر، فأنّبه أخوه على ذلك وانتهره بالقول: «ترى إنها إن أخذت تردها بشعرك هذا؟» فأجاب قائلاً: «لا أخرج فيها حتى تعلم أن شعري يردها»[٥].

(١) الشعر والشعراء، ص١١٩.
(٢) ديوان طرفة، ص ٢٥، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(٣) الروائع، ص٢٠١.
(٤) شيخو، لويس: شعراء النصرانية، ص٢٩٩، بيروت ١٨٩٠م.
(٥) الروائع، ص٢٠٢.

وصدقت فراسة الشاعر، مثلما صحت توقعات أخيه معبد، فقد أخذت الإبل من طرفة، وهو لاهٍ يتغزّل، فلجأ إلى ابن عمه مالك، واستعان به على ردِّ الإبل التي احتوشها قوم من مضر، فأبى هذا مساعدته؛ لكنّ طرفة وجّه وجهه لسيّدين كريمين من أقربائه هما قيس بن خالد، وعمرو بن مرثد، فمدحهما أجمل مدح، فما كان من عمرو بن مرثد إلا أن دعا إليه أولاده، وكانوا سبعة، فأمرهم بمساعدة الشاعر، فأدى كل واحد منهم عشراً من الإبل، ومثلهم فعل ثلاثة من أحفاده، فدفعوا مثل ذلك إلى طرفة الذي استطاع أن يردّ إبل أخيه[1].

اتصاله بعمرو بن هند[2]:

وكأنّ طرفة وثق بأن شعره قادر على أن يؤمن له مورداً من المال يسدّ به حاجته، فاتصل بعمرو بن هند ملك الحيرة، وكان عنده المتلمس، خال الشاعر، وهو شاعر مشهور، وعبد عمرو ابن بشر بن مرثد، صهره على أخته، فاستقبله الملك استقبالاً يليق

---

(١) البستاني، بطرس: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ١١٦/١. دار مارون عبود، بيروت ١٩٧٩م.

(٢) هو عمرو بن هند، والده هو المنذر بن امرئ القيس، مَلَك الحيرة بعد وفاة والده (نحو سنة ٥٥٤م)، ولبث على عرشها حتى (نحو سنة ٥٦٩م)، وكان أبوه قد تزوج هنداً بنت آكل المرار، فولدت له عمراً وقابوس والمنذر ومالكاً.

زعم الرواة أن عمرو بن هند كان له يومان: يوم بؤس ويوم نعيم، فكان يقتل أول من لقي في اليوم الأول، ويكرم أول من يلقى في اليوم الثاني. فاشتهرت عنه لأجل هذا حكايات كثيرة دوّنها الرواة في كتب الأدب.

بكبار الرجال، ثم اتخذه جليساً له ونديماً، وراح يسمع شعره الذي أعجب به أيما إعجاب، حتى جاء يوم كان فيه الشاعر بين يدي الملك، والقوم عاكفون على الشراب، إذ برزت أخت الملك بجمالها الساحر، فنظر طرفة إليها نظرة إعجاب مما أثار ريبة الملك وحفيظته فنظر إلى الشاعر نظرة شزر، لكنه كتم ذلك في نفسه، ولم ينبس ببنت شفة، إلا أن المتلمس أدرك نية عمرو بن هند فقال لابن أخته: «ياطرفة، إني أخاف عليك من نظرته تلك».

وما توقعه المتلمس كان صحيحاً، إذ سرعان ما أمر عمرو بإبعاد الاثنين معاً من حاشيته ليلحقهما بحاشية ولي عهده وأخيه قابوس بن هند، وكان هذا لاهياً محباً للصيد، فأمرهما باصطحابه إلى الصيد، فما رجعا إلا وقد أخذ التعب منهما كل مأخذ.

وكان حقيقاً على الشاعرين أن لا يبرحا قابوس حتى في الأيام التي كان يخلو فيها بنفسه، فلا يدني منه إلاّ من كان مقرباً الأمر الذي أغضب طرفة والمتلمس فاندفعا في هجائه، وفي هجاء عمرو نفسه بن هند ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ.



قصة مقتله

كان طرفة قد هجا (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) زوج أخته؛ عندما جاءت أخته يوماً تشكو منه، فقال فيه طرفة:

يا عجباً من عبد عمرو وبغيه

لقد رام ظلمي عبد عمروٍ فأنعما

ولا عيب فيه غير أن له غنى

وأن له كشحاً إذا قام أهضما

وإن نساء الحي يعكفن حوله

يقلن عسيب من سرارة ملهما[1]

لهُ شربتان بالنهارِ، وأربعٌ

من الليل حتى آض سُخْداً مورَّما[2]

ويشربُ حتى يَغْمُرُ المحضُ قلبَه

وإن أُعطَهُ أتْرُك لقلبي مجثما[3]

---

(١) الديوان، ص٧٠، والكشح: الخصر. والأهضم: الهزيل. ويعكفن: يملن. والعسيب: جريد النخل. والسرارة: وسط الشيء. وملهم: موضع تكثر فيه النخل.

(٢) آض: صار. سخداً: ريان، أي أنه يشرب من اللبن مرتين في النهار وأربعاً في الليل حتى انتفخ وتورم.

(٣) المحض: اللبن الخالص، ومجثم: موضع راحة، يريد: وإن أسق اللبن لا أكثر منه وإنما أترك لقلبي موضع راحة.

كـأنّ الـسـلاحَ فـوقَ شـعـبـةِ بـانةٍ
تـرى نَفْـخـاً وَرْدَ الأسـرَّةِ أسْـحَـمـا[١]

ومن عجيب الصدف أن عمرو بن هند ـ وهذه رواية ابن قتيبة[٢]ـ كان يتصيد ذات يوم، ومعه عبد عمرو، فأصاب حماراً، فطلب إلى عبد عمرو أن ينزل إليه، فأعياه ذلك، فضحك عمرو وقال:

لقد أبصرك طرفة حين قال:

ولا عـيب فيـه... إلـــــخ!!

فما كان من عبد عمرو إلا أن أخذته الحمية وقال للملك عمرو بن هند: الذي قال فيك أشد ممّا قال فيّ!

فتلون وجه عمرو بن هند وقال لعبد عمرو: وما قال فِيّ؟!

فأخبره عبد عمرو بقصيدة طرفة التي هجاه فيها وهي قوله[٣]:

---

(١) شعبة: غصن. بانة: شجرة لينة، شبه عبد عمرو في تثنيه ونعمته بهذه الشجرة! والأسرة: الطرائق في الجسد، أي أنه أحمر اللون من أثر ما يتطيب به من الزعفران.

(٢) الشعر والشعراء، ص١١٨.

(٣) ديوانه (ص٤٨ ـ ٤٩)، وقد روى ابن السكيت في شرحه لديوان طرفة (ص١٥) أبياتاً أخرى له في هجاء عمرو بن هند، هي من أشد الهجاء وأمره وأوجعه، هي:

أبا الجُـرَيِّ متَى تَرْجو تَدينُ لكمْ ... يا بن الشَّديخِ ضِباعٌ بينَ أجْباخِ
أنتَ ابنُ هند فَأَخْبِرْ مَنْ أبوكَ إذاً؟ ... لا يُصْلِحُ المُلْكَ إلاّ كـلُّ بَذّاخِ
إنْ قلتَ نَصْرٌ، فنصرٌ كان شَرَّ فَتَىً ... قِدْمـاً وأبيضَهـم سِرْبالَ طَبّاخِ
ما في المَعالـي لكـمْ ظـلٌّ ولا وَرَقٌ ... وفي المخـازي لكمْ أسْناخُ أسْناخ
إنْ قُسِّمَ المَجْدُ أكْدَى في سَـراتكمُ ... أو قُسِّـم اللـؤْمُ فُضّلْتُمْ بأشْياخِ

الجُـريّ: مصغر جرو وهـو ابن الكلب. والشـديخ: المشدوخ وهو المكسور، وأراد مكسور الرأس، كناية عن الذل، والأجباخ: أمكنة فيها نخيل. وبذاخ: عال شريف. ونصر: هو نصر بن ربيعة أحد أجداد عمرو بن هند. وأسناخ: جمع سِنْخ وهو الأصل. وأكدى: انقطع. والسراة، السادة.

فليتَ لنا، مَكانَ المُلْكِ عَمْروٍ
رَغُوثاً، حَولَ قُبَّتِنا تَخورُ[١]

مِنَ الزَّمِراتِ، أسْبَلَ قادماها
وضَرّتُها مُرَكَّنةٌ دَرُورُ[٢]

يشاركُنا لنا رَخِلانِ فيها
وتَعْلُوها الكبِاشُ، فما تَنورُ[٣]

لعَمْرُكَ! إنّ قابُوسَ بنَ هِنْدٍ
ليَخْلطُ مُلْكَهُ نُوكٌ كثيرُ[٤]

قسَمْتَ الدّهْرَ في زَمَنٍ رَخيّ
كذاكَ الحُكْمُ يَقْصِدُ أوْ يَجورُ[٥]

لنا يومٌ، وللكِرْوانِ يومٌ
تَطيرُ البائِساتُ ولا نَطيرُ[٦]

---

(١) الرغوث: النعجة المرضع. تخور: تصوت.

(٢) الزمرات: القليلات الصوف. وتكون أغزر ألباناً. أسبل: طال. قادماها: خلفاها اللذان من قدام. والخلف للناقة استعاره للشاة، كما استعار لها الخوار في البيت السابق، وهو للبقر. ضرتها: لحم ضرعها. المركّنة: التي لها أركان أي جوانب وأصل، أو المجتمعة. الدرور: التي تدر بلبنها.

(٣) الرخلان، واحدهما رخل: الأنثى من أولاد الضأن. تعلوها: تلقحها. الكباش، الواحد كبش الحمل إذا دخل في السنة الثانية، وقيل: الرابعة. تنور: تنفر.

(٤) نوك: حماقة.

(٥) الرخي: السهل اللين. كذاك الحكم: أي كذاك ذو الحكم. يقصد: يتوسط بين العدل والجور، ويجوز: يميل عن الحق.

(٦) الكروان: بسكون الراء جمع كروان بفتحها: وهو طائر أغبر اللون طويل المنقار، يقول: إن قابوس قسم أيامه بين طرفة وخاله المتلمس، وصيد الكروان، ولكن هذه الطيور البائسة تطير وتخلص، أما هما فلا يستطيعان الطيران والخلاص.

فـأمّـا يَوْمُـهُنّ، فـيَـوْمُ نَحْسٍ
تُطارِدُهُنّ بالحَـدَبِ الصّـقُـورُ[١]

وأمـا يومُنا، فَنَظَلُّ رَكْـبـاً
وُقـوفاً، مـا نَحُلُّ ومـا نَسِـيرُ[٢]

فلما سمع عمرو بن هند القصيدة ازداد حنقه وأضمر الشر لطرفة ولخاله المتلمس، وما لبث يتحين الفرص ليتخلص من الاثنين معاً، وكان يؤانسهما حتى اطمأنّا إليه، فدعاهما وقال لهما: لعلكما اشتقتما إلى أهلكما، وسرّكما أن تنصرفا؟

قالا: نعم.

فكتب كتابين إلى عامله في البحرين، وقال لهما: انطلقا إليه وخذا منه جوائزكما.

فحمل كلّ منهما كتابه، وسارا حتى بلغا النجف، فقال المتلمس لطرفة: تعلمنّ والله أن ارتياح عمرو لي ولك لأمر عندي مريب، وإني لا أنطلق بصحيفة لا أدري ما فيها.

فقال طرفة: إنّك لسيئ الظنّ؛ وما تخاف من صحيفة؟! إن كان فيها الذي وعدنا، وإلا رجعنا فلم نترك له شيئاً.

---

(١) الحدب: ما ارتفع وغلظ من الأرض. الصقور، الواحد صقر: كل طائر يصيد.
(٢) الركب: ركبان الإبل أو الخيل. ما نحل وما نسير، يريد: نحن قيام في بابه، فلا هو يأذن لنا فننزل عنده، ولا يأمرنا بالرجوع إلى أهلنا فنسير عنه.

فـأبى المتلمس أن يجـيـبـه وعـدل إلـى حـيـث رأى غـلامـاً من الحيرة، فدفع إليه الصحيفة ليقرأها، فلما نظر الغلام فيها قال: ثكلت المتلمس أمّه! فأخذ المتلمس الصحيفة وقذفها في البحيرة، فضُرب المثل بصحيفة المتلمّس.

ثم قال المتلمس لطرفة: تعلمن والله أن الذي في كتابك مثل الذي في كتابي.

فقال طرفة: إن يكن قد اجترأ عليك ما كان بالذي يجترئ عليَّ، وأبى أن يطيعه، فتركه المتلمس وهرب إلى الشام قائلاً[1]:

من مبلغُ الشعراء عن أخويهمُ

نبأً فتصْدُقَهمْ بذاك الأنفسُ

أوْدَى الذي علِق الصحيفةَ منهما

ونجا حِذَارَ حِبائه المتلمّسُ

ألقى صحيفتة ونجَّت كُورَه

وجناءُ مُجمِرة المناسم عِرْمِسُ

عَيرانةٌ طَبَخَ الهواجرُ لحَمها

فكأن نُقْبتها أديمٌ أملسُ

أجُدٌ إذا ضَمرتْ تعزَّز لحمُها

وإذا تُشَدُّ بِنِسعْها لا تَنْبِسُ

---

(١) الأغاني (٢٣ / ٥٤١).

وتكاد من جـزع يطيـر فـؤادها
إن صاح مُكَّاءُ الضُّحا مُتنكِّسُ[١]

أما طرفة فقد سار إلى البحرين، وكان صاحبها (أبو بكر بن الحارث) وهو من أقرباء طرفة، فلما قرأ الكتاب قال: أتعلم ما أمرت فيك؟

قال طرفة: نعم! أمرت أن تجيزني وتحسن إليّ.

فقال له: إن بيني وبينك لخؤولة أنا لها راع فاهرب من ليلتك هذه، فإني قد أمرت بقتلك، فاخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس.

فأبى طرفة، وقال: اشتدت عليك جائزتي، وأحببت أن أهرب وأجعل لعمرو بن هند عليّ سبيلاً، كأنني أذنبت ذنباً؛ والله لا أفعل أبداً.

فأمر بحبسه، ثم كتب إلى عمرو بن هند يقول: ابعث إلى عملك من تريد فإني غير قاتل الرجل.

فأرسل عمرو بن هند رجلاً من بني تغلب يقال له عبد هند، واستعمله على البحرين، فقدمها ولبث أياماً، فاجتمعت بكر بن

---

(١) الوجناء: الضخمة الغليظة الصلبة كأنها لصلابتها ضربت بمواجن القَصَّار، واحدتها ميجَنة، وهي مدقته، ومُجمرة المناسم: مجتمعة لطيفة في صلابة، والعرمس: الناقة الصلبة، شبهت بالعرمس وهي الصخرة الصلبة، وتعزّز: تشدد، وتنبس: تنطق وتصيح، وطبخ الهواجر، لحمها: أي سافرت عليها حتى انجرد شعرُها. ونُقْبتها: لونها، والمُكّاء: طائر يطير في الجو ثم يتنكس.

وائل وهمت به، وكان طرفة يحضّهم، فانتدب له رجلاً من الحواثر يقال له: أبو ريشة، فقتله وقتل معه العامل السابق. وكان قبره معروفاً بهجر في أرض بني قيس بن ثعلبة.

وثمّة رواية أخرى لقتله تزعم أن عامل البحرين كان اسمه المكعبر، وإليه أرسل عمرو بن هند الكتابين؛ وأنّه لما خرج طرفة وخاله من عند عمرو بن هند سارا حتى إذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة، إذا هما بشيخ معه كسرة يأكلها، وهو يتبرز ويقصع القمل.

فقال له المتلمس: بالله ما رأيت شيخاً أحمق وأضعف عقلاً منك.

فقال له الشيخ: وما الذي أنكرت عليّ؟

فقال: تتبرّز وتأكل وتقصع القمل!

قال: إني أخرج خبيثاً، وأدخل طيباً، وأقتل عدواً، ولكن أحمق مني وألأم حامل حتفه بيمينه، ولا يدري ما فيه.

فتنبّه المتلمّس، وكأنّما كان نائماً، وإذا هو بغلام من الحيرة فقال له المتلمس: يا غلام أتقرأ؟ قال: نعم. قال: اقرأ هذه! فإذا فيها:

«باسمك اللّهم، من عمرو بن هند إلى المكعبر. إذا أتاك كتابي هذا من المتلمس، فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيّاً.» فألقى المتلمس الصحيفة في النهر وقال لطرفة: معك والله مثلها.

فقال: كلا! ما كان ليكتب لي مثل ذلك.

ثم أتى المكعبر، فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً[١]

وقد كان مقتل طرفة وهو في السادسة والعشرين من عمره بدليل قول أخته (الخورنق) ترثيه:

عددنا له ستّاً وعشرين حجةً
فلما توفاها استوى سيّداً ضخما

فجعنا به لما انتظرنا إيابه
على خير حين، لا وليداً ولا قحماً

ولهذا سمي طرفة (بالغلام القتيل)، والله أعلم.

ولا يحق لنا قبل أن نودع طرفة إلا أن نورد قصيدته الذائعة الماتعه وهي معلّقته الفريدة التي سارت بها الركبان، وأنشدها السمار، وغنى بها الرحالة، فاسمع إلى صوت العبقرية ونشيد الإبداع وكلمات النبوغ، يقول:

لخولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثهمدِ
تلُوحُ كباقي الوَشمِ في ظاهرِ اليَدِ

وُقُوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهم
يقولون: لا تهلكْ أسى وتَجَلَّدِ

---

(١) انظر: مقدمة ديوانه، لكرم البستاني (ص٩ - ١٠).

كأنَّ حُدُوجَ المالكيَّةِ غُدوةً
خلايا سَفينٍ بالنَّواصفِ من دَدِ

عدوليَّةٍ أو من سَفينِ ابنِ يَامنٍ
يَجُورُ بها الملاَّحُ طوراً ويهتَدي

يَشقُ حُبابَ الماءِ حَيزومُها بهَا
كما قَسَمَ التُّربَ المُفايلُ باليد

وفي الحيِّ أحوى ينفُضُ المردَ شادنٌ
مُظاهر سِمطي لُؤلُؤٍ وزَبَرجد

خذولٌ تُراعي ربرباً بخميلةٍ
تناولُ أطراف البزيرِ وترتدي

وتبسمُ عن ألمى كأنَّ مُنوَّراً
تخلَّلَ حُرَّ الرَّملِ دعصٌ له نَد

سقتْهُ إياةُ الشمس إلا لِثاتِهِ
أسفَّ ولم تكدم عليه بإثمدِ

ووجهٌ كأنَّ الشمسَ حلت رداءَها
عليه، نقيُّ اللون، لم يتخدَّدِ

وإني لأمضي الهَمَّ عند احتضاره
بعوجاءَ مرقالٍ تروُحُ وتغتدي

أمُونٍ كألواحِ الإرانِ نسأتُها
على لاحبٍ كأنَّهُ ظهرُ بُرجُدِ

تُباري عتاقاً ناجيَاتٍ، وأتبعت
وظيفاً وظيفاً فوق مورٍ مُعبَّدِ

ترَبعتِ القُفَّين بالشَّولِ ترتَعي
حَدائقَ مَوليٍّ الأسرَّةَ أغيَدِ

تريعُ إلى صوت المُهيب، وتتَّقي
بذي خُصَلٍ رَوعَات أكلفَ مُلبدِ

كأنَّ جنَاحَي مَضرحيٍّ تَكنَّفَا
حفافيه شُكَّا في العَسيب بمِسردِ

فَطَوراً به خلف الزَّميل، وتارةً
على حَشِفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مُجَدَّدِ

لها فخذان أُكمل النَّحضُ فيهمَا
كأنهما بابا منيف مُمَرَّدِ

وطيٌّ محال كالحُنيِّ خلُوفه
وأجْرِنَةٌ لُزَّت بدأي منضدِ

كأنَّ كناسيْ ضالةٍ يكنفانِهَا
وأطر قسيٍّ تحت صُلبٍ مُؤيَّدِ

لها مرفقانِ أفتلانِ كأنما
تمرُّ بسلميْ دالج متشدِّدِ

كقنطرةِ الرُّومي أقسمَ ربُّهَا
لتكتنفنْ حتى تشادَ بقرمَدِ

صهابيةُ العثنونِ مؤجدةُ القرا
بعيدةُ وخدِ الرِّجل موَّارةُ اليدِ
أمرَّتْ يداهَا فتلَ شزْرٍ، وأجنحتْ
لها عضدَاهَا في سقيفٍ مُسنَّدِ
جنوحٌ، دفاقٌ، عندلٌ، ثمَّ أفرعتْ
لها كتفاهَا في معالى مُصعَّدِ
كأنَّ عُلُوبَ النّسعِ في دأياتِها
موارد من خلقاء في ظهر قردد
تلاقى، وأحياناً تبينُ كأنَّها
بنائقُ غرٌّ في قميصٍ مقدَّدِ
وأتلاعُ نهاض إذا صعدتْ به
كسُكّانِ بوصيٍّ بدجلةَ مُصعدِ
وجُمجُمةٌ مثلُ العلاة كأنَّمَا
وعى الملتَقَى منها إلى حرفٍ مبردِ
وخدٌّ كقرطاس الشآمي ومشفرٌ
كسبتِ اليماني قدُّهُ لم يُحرَّدِ
وعينانِ كالماويَّتين استكنَّتا
بكهفَي حجاجَيْ صخرةٍ قلتِ موردِ
طحورانِ عُوَّارَ القذى، فتراهُما
كمكحولتَيْ مذعورةٍ أمِّ فرقدِ

وصادقَتَا سَمع التَّوجُّس للسُّرى
لهجسٍ خفيٍّ أو لصوتٍ مندَّدِ

مُؤلَّلتانِ، تعرفُ العتقَ فيهما
كسامعتيْ شاةٍ بحومل مُفردِ

وأروعُ نبَّاضٌ أحذُّ مُلملَمٌ
كمرادةِ صخرٍ في صفيحٍ مصمدِ

وإن شئت سام واسِط الكورِ رأسُها
وعامتْ بضبعيْها نجاءَ الخفيدَدِ

وإن شئت لم تُرقلْ، وإن شئتَ أرقلتْ
مخافةَ ملويّ منَ القدِّ مُحصدِ

وأعلمُ مخروتٌ من الأنف مارنٌ
عتيق متى ترجُمْ به الأرضَ تزدَدِ

على مثلِها أمضي إذا قال صاحبي:
ألا ليتني أفديكَ منها وأفتدي

وجاشتْ إليه النفسُ خوفاً وخالَهُ
مُصاباً ولو أمسى على غير مَرصَدِ

إذا القومُ قالوا من فتى خلتُ أنَّني
عُنيتُ فلمْ أكسلُ، ولم أتبلَّدِ

أحلتُ عليها بالقَطِيع فأجذمتْ
وقد خبَّ آلُ الأمعزِ المُتوقِّدِ

فـذالتْ كمـا ذالتْ وليـدةُ مـجلسٍ
تُري ربَّهـا أذيالَ سـحل مُـمَـددِ
ولستُ بحـلاَّل التِّـلاع مـخـافـةً
ولكن مـتى يسـترفـد القـومُ أرفـدِ
وإن تبغني في خلقةِ القوم تلقَني
وإن تقتنصني في الحوانيت تصطدِ
مـتى تأتني أصبحْك كأساً رويَّةً
وإن كنت عنها غـانياً فـاغنَ وازدَدِ
وإن يلتق الحَيُّ الجـمـيعُ تلاقني
إلى ذروةِ البـيتِ الرَّفـيعِ المُصـمـدِ
نداماَي بيضٌ كـالنجـومِ وقـينةٌ
تروحُ إلينا بين بُرد ومُـجـسَـدِ
رحيبٌ قطابُ الجيبِ منها، رفيقةٌ
بجسِ الندامى، بضَّـةُ المُتـجـرَّدِ
إذا نحنُ قلنا أسمعينا انبرتْ لنا
على رسلهـا مطروفـةً لم تشـدَّدِ
ومـا زال تشـرابي الخُـمُـورَ ولذَّتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتلدي
إلى أن تحـامَتْني العـشيرةُ كُلُّهـا
وأُفـرْدتُ إفـرادَ البـعـيرِ المُعـبَّـدِ

رأيتُ بني غــبــراءَ لا يُنكرونَنــي
ولا أهلُ هذاكَ الطرافِ المُمَــــدَّدِ

ألا أيُّهذا اللائمي أحضرَ الوغى
وأن أشهدَ اللذَّاتِ، هل أنت مُخلدي؟

فإنْ كنتَ لا تسطيعُ دفعَ منيَّتي
فــدعني أبادرْها بما ملكتْ يدي

فلولا ثلاثٌ هنَّ منْ عيشةِ الفتى
وجدِّك لم أحفلْ متى قامَ عوَّدي

فـمنهن سـبقُ العـاذلاتِ بشـربةٍ
كُميْتٍ متى ما تُعلَ بالماءِ تُزبِدِ

وكـري إذا نادى المُضافُ مُحنَّباً
كسيدِ الغضا نبَّهته المُتوردِ

وتقصيرُ يوم الدَّجن والدَّجنُ معجب
ببهكنةٍ تحتَ الطرافِ المُعمَّدِ

كأنَّ البرين والدَّماليجُ علِّقتْ
على عُشرٍ أو خروعٍ لم يُخضَّدِ

فذرني أروِّ هامتي في حياتها
مخافةَ شربٍ في الحياةِ مُصرَّدِ

كريمٌ يُروي نفسَهُ في حياتِه
ستعلمُ إن مُتْنا غداً أيُّنا الصَّدي

أرى قـبـر نحّـام بخـيلٍ بماله
كـقبرِ غويٍّ في البطالةِ مُفسدِ

ترى جُـثوتينِ مـنْ تُرابٍ عليهـما
صفـائحُ صمٌّ منْ صـفيحٍ مُنضَّدِ

أرى الموتَ يَعتامُ الكرامَ، ويصطفي
عـقـيلةَ مـالِ الفـاحشِ المُتَشَدِّدِ

أرى الدّهـرَ كنزاً نـاقـصـاً كلَّ ليلةٍ
ومـا تنقُص الأيامُ والدّهـرُ يَنفـدِ

لعـمرُك إنَّ الموتَ مـا أخطأَ الفتى
لكالطِّولِ المُرخي وثنيـاهُ بـاليـدِ

فـمـالي أَراني وابنَ عـمي مـالكاً
مـتى أدنُ منه ينأ عني ويبـعُـدِ

يلومُ ومـا أدري عـلامَ يلُومُني
كمـا لامني في الحيِّ قُرطُ بنُ أعبَدِ

وأيأسني من كلِّ خـيـرٍ طلبـتُـهُ
كـأنّا وضـعناهُ إلى رمْسِ مُلحَـدِ

على غـيـرِ ذنبٍ قُلتُـهُ، غـيـر أنَّني
نشدتُ فلم أُغفل حـمُولَةَ مَعبَدِ

وقـربتُ بـالقُـربَى وجـدِّك إنَّني
مـتى يكُ أمـر للنُّكيـثةِ أشـهدِ

وإن أُدعَ في الجُلَّى أكُن منْ حُماتِها
وإن يَأتِكَ الأعداءُ بالجَهْدِ أجهدِ

وإن يقذفو بالقذع عرضكَ أسقهم
بكأس حِيَاضِ الموت قبل التَّهَدُّدِ

بلا حدثٍ أحدثتُه وكمُحدثٍ
هجائي وقذفي بالشَّكاة ومُطرَدِي

فلو كانَ مولاي امرءاً هو غيرُهُ
لفرَّجَ كربي لأنظرني غدى

ولكنَّ مولاي امروٌ هو خانقِي
على الشُكرِ والتَّسآلِ أو أنا مُفتَدِ

وظُلمُ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً
على المرءِ منْ وقعِ الحُسام المُهنَّدِ

فذرني وخُلقِي؛ إنَّني لك شاكرٌ
ولو حلَّ بيتي نائياً عند ضرغَدِ

فلو شاء ربي كُنتُ قيسَ بن خالدٍ
ولو شاء ربي كُنتُ عمرو بن مرثدِ

فأُلفيتُ ذا مالٍ كثيرٍ، وعادني
بنون كرامٌ سادةٌ لمسَوَّدِ

أنا الرجلُ الضَّربُ الذي تَعرفُونهُ
خشاشٌ كرأس الحيَّة المتوقدِ

فآليتُ لا ينفكُّ كشحي بطانةً
لعضبٍ رقيقِ الشَّفرتَين مُهنَّدِ
حُسامٍ إذا ما قُمتُ مُنتصِراً به
كَفَى العَوْدَ منهُ البَدءُ ليسَ بمعضدِ
أخي ثقةٍ لا ينثني عن ضريبةٍ
إذا قيلَ مهلاً قالَ حاجزُهُ قدي
إذا ابتَدَرَ القَومُ السلاَحَ وجدتني
منيعاً إذا بلَّتْ بقائمِهِ يَدي
وبركٍ هُجُودٍ قد أثارتْ مخافتي
نواديها أمشي بعضْبٍ مُجَرَّدِ
فمرتْ كهاةٌ ذاتُ خيفٍ جُلالَةٌ
عقيلة شيخٍ كالوبيلِ يلنددِ
يقولُ وقدْ ترَّ الوظيفُ وساقُها:
ألستَ ترى أن قد أتيتَ بمُؤيَدِ؟
وقال: ألا ماذا ترون بشاربٍ
شديدٍ علينا بغيُهُ مُتعمِّدِ؟
فقال: ذرُوه إنما نفعها له
وإلا تردُّوا قاصيَ البَرك يزددِ
فظلَّ الإماءُ يمتلِلْن حُوارها
ويُسعى علينا بالسَّديف المُسرهَدِ

فـإن مُتُّ فـانعـيـني بما أنا أهلُهُ
وشُقي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ معبد

ولا تجـعليـنـي كـامـرئ ليس همُّـهُ
كهمِّي، ولا يُغني غَنَائي ومشهدي

بطيءٍ عن الجُلَّى، سـريعٍ إلى الخَنَا
ذليلٍ بأجـمـاعِ الرجـال مُلَهَّـدِ

فلو كُنتُ وغلاً في الرِّجال لضرَّني
عـداوةُ ذي الأصـحـابِ والمُتَـوحِّـدِ

ولكنْ نفى عنِّي الأعـادي جُـرأتي
عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي

لعـمـرُكَ مـا أمـري عليَّ بغُـمَّـةٍ
نهـاري، ولا ليلي عليَّ بسـرمَـدِ

ويومٍ حَـبَسـتُ النَّفس عند عـراكِهِ
حـفـاظاً على عـوراتِه والتَّـهـدُّدِ

على موطن يخشى الفتى عنده الرَّدَى
متى تعتَرِكْ فيه الفرَائصُ تُرعدِ

وأصـفـر مـضـبـوحٍ نظرتُ حـواره
على النَّار واستودعتُهُ كفَّ مُجمدِ

ستُبـدي لك الأيَّامُ ما كنتَ جاهلاً
ويـأتيك بالأخـبـارِ منْ لم تُزودِ

ويأتيك بالأنبـاءِ من لم تبعْ لهُ
بتـاتاً، ولم تضربْ له وقتَ موعِدِ
لعمـرُكَ مـا الأيامُ إلا مُعـارةٌ
فما اسطعتَ منْ معروفِها فتزَوَّدِ
عن المَرءِ لا تسأل وأبصـرْ قرينَهُ
فإنَّ القرينَ بالمُقـارنِ يقتـدِي





مقتل

الأعشى الهمداني

ترجمته[1]

هو «عبدالرحمن بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن مالك بن عبدالحق بن زيد بن حرب بن قيس بن عامر بن مالك ابن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان وهو «أوسلة» بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان»[2].

هكذا ساق الهمداني نسبه في الجزء العاشر من سفره الموسوم بالإكليل. والهمداني أقوم على هذا النسب من غيره ممن عنوا بأخبار الأعشى، وأوردوا في نسبه قطعاً من هذا السياق اعتوره الخلط حيناً والتحريف حيناً آخر[3].

---

(١) نقلاً عن: رسالة (ديوان أعشى همدان وأخباره) للدكتور حسن عيسى أبو ياسين، بتصرف يسير.

(٢) الإكليل ٨٥/١٠ وفي آخر هذا السياق قال الهمداني: «وقد يقول نساب الكوفة: ابن عبدالجن - بدلاً من ابن عبدالحق الوارد في السياق هنا - وهو ابن عبدالحق».

(٣) من ذلك في الأغاني ٢٣/٦، ط دار الكتب. قال: «وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث بن عبدالحر بن جشم بن زيد» وواضح أن هذا السياق غلب عليه الخلط والتصحيف في أكثر من موضع إذا ما قيس بسياق الهمداني المتقدم، ولعل أظهر ما فيه أن جعل الحارث جداً للأعشى وهو عند الهمداني أب له، ثم زاد في موضع وحرَّف في موضع آخر، وأسقط ما بين عبدالحر - وصوابه عبد الحق - وبين جشم بن حاشد ستة أسماء أخرى. واتفق في أول هذا السياق معه الزبير ابن بكار في الموفقيات، ص٥٤٨؛ والآمدي في المؤتلف والمختلف، ص١٢. أما ابن حزم فلم يزد في جمهرته، ص٣٩٣ على القول أنه «عبدالرحمن بن الحارث»، ومثل ذلك نجده عند ابن حبيب في المغتالين من الشعراء، ص٢٦٥ . قال: هو «عبدالله بن عبدالرحمن بن الحارث بن نظام» وهذا خلط منكر.

لُقِّب بالأعشى، وفي قبائل العرب ما يزيد على ثلاثين شاعراً يعرفون بهذا اللقب، وإنما نُسبوا إلى قبائلهم فقيل: أعشى همدان، وأعشى شيبان، وأعشى باهلة.. إلخ تمييزاً لهم عن الأعشى الكبير ميمون بن قيس.

وفي معجم الشعراء للمرزباني والمؤتلف والمختلف للآمدي جملة من أسماء هؤلاء الشعراء.

ويكنّى أبا المُصَبِّح، وصفه أبو الفرج بقول: هو شاعر فصيح، كوفي، من شعراء الدولة الأموية(١).

وَعدَّه الأصمعي قبل ذلك في الفحول الإسلاميين المكثرين(٢)، وكان يحفظ له كثيراً من الأشعار والأخبار نجدها فيما رواه أبو الفرج من طريقه وهو يترجم الأعشى.

أما الجاحظ فقال: «ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن تنافر إليه الأشراف: أعشى همدان»(٣).

لم يرتبط اسم أعشى همدان بأي حدث تاريخي كما ارتبط بثورة ابن الأشعث الذي خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي، وحشد معه أهل الكوفة، فلم يبق من وجوههم وقرائهم أحد له

---

(١) الأغاني ٢٣/٦، ط دار الكتب.
(٢) الأغاني ٤٥/٦.
(٣) البيان والتبيين ٤٨/١، ط هارون.

نباهة إلا خرج معه، لثقل وطأة الحجاج عليهم، وكان فيمن خرج معه أعشى همدان[1].

وقد شارك في هذه الثورة مشاركة فعلية، ووقف منها موقفاً فنياً فيما أنشده من شعر، إذْ كان شديد التحريض في تلك الثورة على الحجاج، وانطلق ينشد الأشعار في مدح ابن الأشعث تارة وفي هجاء الحجاج تارة أخرى، وهو في جميعها يحاول أن يجمع القبائل العربية إلى لواء هذه الثورة بما كان يثيره فيها من عصبية قبلية وبما كان يذيعه فيها من ذكر المجد اليمني القديم الذي يمثله ابن الأشعث الكندي، فهو صاحب «إرث جدود» في الملك والمجد.

لقد كان أعشى همدان شاعر هذه الثورة بلا منازع، ولم تكن مشاركته فيها مشاركة فنية فحسب، وإنما شارك فيها مشاركة عملية إذ جرّد لها سيفه ولسانه جميعاً، فكان بذلك من أشد الناس تحريضاً على قتال الحجاج وخلعه بما أنشده في هجائه من الأشعار، وبما قاله في حض الناس من قحطانيين وعدنانيين على الانضمام لصفوف الثورة.

وتحدثنا أخباره فيها أنه كان أول من خلع الحجاج والخليفة الأموي عبدالملك بين يدي ابن الأشعث وهو في سجستان[2].

---

(١) الأغاني ٦/٦٤، وانظر في أحداث ثورة ابن الأشعث: الطبري، أحداث سنة (٨١ ـ ٨٣ هـ).

(٢) المسعودي في مروج الذهب ٣/١٥٥.

ولم تكن دوافع أعشى همدان في هذه الثورة تختلف في شيء عن دوافع ابن الأشعث في طلب المجد والسيادة، وبعثه من جديد في قبائل اليمن التي يتربع ابن الأشعث اليوم على عرش زعامتها الموروثة، بما كان لقبيلته كندة من أسباب في الملك والسيادة.

والأعشى يلتقي مع ابن الأشعث في هذه الثورة من ناحيتين، فكلاهما يصدر في دوافعه عن عصبية يمنية خالصة يجتهدان في إحيائها وإحياء ما كان لها من المجد والسلطان، وقد ضاقت نظرة الأعشى بصفة خاصة حين رأى أن مجد اليمن القديم يتقاسمه قبيلان هما: كندة وهمدان؛ ففيهما كان الملك والسيادة، فإذا كان مجد كندة قد انتهى إلى ابن الأشعث فإن مجد همدان قد انتهى إلى آل سعيد بن قيس الهمداني الحاشدي فهما «سليلا ملوك في الزمان أعزّة» وفضلاً عن التقاء كندة وهمدان في هذا الجانب فإنهما تلتقيان في جانب آخر، فأم ابن الأشعث هي بنت سعيد بن قيس الهمداني، وإلى هذا وذاك يشير الأعشى بقوله مخاطباً ابن الأشعث:

إنْ تَكُ من كِنْدَةَ في بيتها
فإنَّ أخوالَك من حاشدِ

وبقوله في موضع آخر:

فإذا سألْت: المَجْد أيْن مَحلُّه
فالمجدُ بين مُحمدٍ وسعيدِ

ونمضي مع أخبار هذه الثورة، أو قل إننا نمضي مع أخبار الأعشى فيها، فنراه يسجل وقائعها ابتداء وانتهاء، ويدور معها حيثما دارت وكأنما وجد فيها منتهى أمانيه.

نجده ابتداء في سجستان حيث بدأت مسيرة ابن الأشعث بجش الطواويس يهدي به نحو العراق لا نتزاعه من الحجاج. بينما الأعشى يحجل بين يديه على فرس له أشقر وهو ينشد[(١)].

شَـطَّـتْ نَـوَى مـن داره بـالإيـوانْ

إيوانِ كِسْرَى ذي القُرى والرَّيْحانْ

من عـاشق أمْـسَى بزابُلِسْـتـانْ

إن ثَقـيـفًـا منهمُ الكذّابانْ[(٢)]

كـذابُهـا الماضي وكـذابٌ ثانْ

أمْكَنَ رَبِّي من ثَقِـيفٍ هَمْـدانْ

إنَّا سَـمَـونا للكَفُـور الفَـتَّـانْ

بالسَّيدِ الغِطْرِيفِ عبدِالرّحـمنْ

(١) وردت هذه الأرجوزة في مصادر كثيرة، لعل أبرزها كتاب الأغاني؛ وتاريخ الطبري والمغتالين من الشعراء؛ ومروج الذهب وغيرها كثير.
انظر: في تخريجها الديوان صفحة: ١٦٣.

(٢) إذا كان الشاعر أراد بالكذاب الثاني الحجاج بن يوسف الثقفي فإن الكذاب الأول من ثقيف المختار بن أبي عبيد الثقفي. الذي قال عنه ابن حزم في الجمهرة، ص٢٦٨: إنه ادعى النبوة بالكوفة.

سار بجمع كالدَّبَى من قحطان

ومن مَعَدٍّ قد أتَى ابنُ عَدْنانْ

بجَحْفَلٍ جَمٍّ شَديدِ الإرْنانْ

فقُلْ لحَجَّاجٍ وَلِيٍّ الشيطانْ

ليثبت لجَمْعِ مَذْحِجٍ وهَمْدانْ

والحَيٍّ من بَكْرٍ وقَيْسِ عَيْلانْ

فإنَّهُمْ ساقُوهُ كَأسَ الذَّيْفانْ

ومُلحقُوه بقُرَى ابنِ مروانْ

ولعل أظهر ما في هذا النص اجتماع القبائل العربية القحطانية والعدنانية: على حد سواء على قتال الحجاج وخلعه، ففيها من القحطانية كندة التي يمثلها ابن الأشعث، وهمدان يمثلها الشاعر نفسه مع بقية قومه، وقبائل من مَذْحج، ومعروف أن مذحجاً تضم قبائل كثيرة مثل: مراد وبلحارث بن كعب وزبيد، ثم هناك العدنانية وشمل الشاعر جمهور قبائلها في بكر وقيس عيلان، والشاعر على هذا النحو يؤكد ما ذهبنا إليه من أن العصبية القبلية كانت توجه دوافعه في تلك الثورة.

أما الأمر الثاني فيتصل بتعريض الشاعر بالحجاج وقبيلته ثقيف، وما ذلك إلاّ ليزيد في إفساد سيرته عند الناس، لتزيد بذلك ثورتهم عليه، فرأى أنه كفر وتمادى في كفره وطغيانه، حتى

صار ولياً للشيطان، ثم يذكر بأن ذلك الأمر ورثه الحجاج عن قبيلته ثقيف التى خرج منها رجال طالما افتروا على الله الكذب بادعائهم النبوة؛ فمنها كذابها الأول المختار أبي عبيد الثقفي الذي ادعى النبوة بالكوفة كما قال ابن حزم.

وقصد الأعشى بذلك تعبئة «الرأي العام» إذا جاز هذا التعبير ضد الحجاج - كما سيأتي إن شاء الله -.

لقد دارت الدائرة على ابن الأشعث في آخر المطاف، ومني بهزيمة ساحقة من الحجاج في (دير الجماجم) (سنة ٨٢هـ)، وتفرق جميع من معه شذر مذر، فمنهم من فرَّ ومنهم من قُتل ومنهم من أسر، مصداقاً لما قاله أئمة أهل السنة والجماعة في سنة الله فيمن خرج على سلطان المسلمين، وأن مصيره الفشل والخذلان، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

أما أعشى همدان فإنه كان من الواقعين في أسر الحجاج، حيث كانت نهايته - كما سيأتي إن شاء الله -.

❀ ❀ ❀



القصيدة التي قتلته

علمنا - سابقاً - أن أعشى همدان قد قصر شعره على نصر ثورة ابن الأشعث، إما بمدح صاحبها، كما في قوله[(١)]:

يأبى الإلهُ وعـزةُ ابن مـحـمـد

وجـدود مـلْك قـبلَ آل ثـمـودِ

أن تأنسوا بمذمّـمين، عـروقُـهم

في الناس إن نُسبوا عروقُ عَبيدِ

كم من أب لك كان يعقِد تاجه

بجـبين أبلجَ مِـقـوَلٍ صِنديدِ

وإذا سـألتَ: المجد أين مـحلّه؟

فـالمجدُ بين محـمـد وسعيدِ

بين الأشجّ وبين قـيسٍ باذخٌ

بَخْ بَخْ لوالده وللمـولود

ما قصَّرَتْ بكَ أن تَنال مَدى العُلا

أخـلاقُ مَكرُمـةٍ وإرثُ جـدودِ

قَـرْم إذا سـامى القُرومَ ترى له

أعـراقَ مجـدٍ طارفٍ وتَليدِ

---

(١) الأغاني ٦/٤٦.

وإذا دعا لعظيمةٍ حُشدتْ له
هَمدان تحت لوائه المعقودِ

يَمشون في حَلَق الحديد كأنهم
أُسد الإباء سمعنَ زأرَ أسودِ

وإذا دعوتَ بآل كِندة أجفلوا
بكهول صدقٍ سيّد ومَسودِ

وشبابِ مأسَدةٍ كأنّ سيوفَهم
في كلّ مَلحَمةٍ بروقُ رعودِ

ما إن ترى قيساً يقارب قيسَكم
في المَكرُمات ولا ترى كسعيدِ

وإما أن يكون شعره في هجاء الحجاج الثقفي، وهو ما كان سبباً في قتله بعد أن أمكن الحجاج منه.

فمن ذلك: أنه لما أُتي به إلى الحجاج أسيراً بعد معركة (دير الجماجم) قال له الحجاج:

الحمد لله الذي أمكن منك! ألست القائل:

لمَّا سَفَوْنا[1] للكَفور الفَتَّانْ
بالسيِّد الغِطريف عبدالرحمنْ

سار بجمْع كالقطا من قحطانْ
ومن مَعَدّ قد أتى ابن عَدنانْ

---

(١) سفا: خف وأسرع.

أمكن ربّي من ثَقيف هَمدانْ

يوماً إلى الليل يُسلّي ما كانْ

إنَ ثقيفاً منهم الكَذّابانْ

كذّابُها الماضي وكذابٌ ثانْ

أولستَ القائل:

يابنَ الأشج[1] قريع كِنـ

ـدةَ لا أبالي فيك عَتْبَاً

أنت الرئيسُ ابنُ الرئيـ

ـس وأنت أعلى الناس كعبا

نبئتُ حَجّاجَ بن يو

سف خَرَّ مِن زَلَقٍ فتبّاً

فانهض فُديتَ لعلّه

يجلو بك الرحمنُ كَربْا

وابعث عطيَّةَ في الخيو

ل يَكُبّهنّ عليه كَبّاً

كلا يا عدوَّ الله، بل عبدالرحمن بن الأشعث هو الذي خَرّ من زَلَقٍ فتَبّ، وحار وانكبّ، وما لقِي ما أحب؛ ورفع بها صوته وأربد وجههُ واهتزّ منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمَّتْه نفسُه وارتعدت فرائصُه.

---

(١) الأشج: هو الأشعث بن قيس الكندي جد عبدالرحمن بن محمد صاحب الثورة. والقريع: السيد.

فقال له الأعشى: بل أنا القائل أيها الأمير:

أبى اللهُ إلا أن يُتَمم نوره
ويُطفئ نار الفاسقين فتخمدا

ويُنزل ذُلاً بالعراق وأهلِه
كما نقضوا العهدَ الوَثيق المؤكّدا

وما لبث الحجاجُ أن سَلّ سيفه
علينا فولّى جمعُنا وتبدّدا

وما زاحَف الحجاجُ إلا رأيتَه
حُساماً مُلقّى للحروب مُعَوّدا

فكيف رأيتَ الله فرّق جمعَهم
ومزّقهم عُرضَ البلاد وشرّدا

بما نكثوا من بَيعة بعد بيعة
إذا ضَمِنوها اليوم خاسُوا[1] بها غدا

وما أحدثوا من بِدعة وعَظيمة
من القول لم تصعَد إلى الله مَصعَدا

ولمّا دَلَفنا لابن يوسف ضِلَّة[2]
وأبرق منا العارضان وأرعدا

---

(١) خاس: غدر ونكث.

(٢) الضلة (بالكسر): ضد الهدي.

قطعنا إليــــه الخندقين وإنما

قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرصِدا[١]

فصادَمَنا الحجاجُ دون صفوفنا

كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا

بجُند أميــر المؤمنين وخــيلِه

وسلطانه أمسى مُعاناً مؤيَّدا

ليهنئ أميرَ المؤمنين ظهورُه

على أمة كانوا بُغاةً وحُسَّدا

وجدنا بني مروان خيرَ أئمة

وأعظمَ هذا الخَلق حلماً وسُؤدُدا

وخيرَ قريش في قريش أرُومَةً

وأكرَمهم إلا النبيَّ محمداً

إذا ما تدبَّرنا عواقبَ أمرنا

وجدنا أمير المؤمنين المُسَدَّدا

سيغلِب قوماً غالبوا الله جَهرة

وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا

كذاك يُضلّ الله من كان قلبُه

ضعيفاً ومن والى النفاقَ وألحدا

---

(١) مرصدا: مترقبا.

فـقـد تركـوا الأمـوال والأهل خلفَـهم
وبـيـضـاً عليـهن الجـلابيب خُـرّدا

ينـاديهم مـسـتـعـبـراتٍ إلـيــهم
ويُذرين دمعـاً في الخـدود وإثمِدا

وإلا تَـنـاولـهنّ مـنـك بـرحـــمـــة
يكنّ سَـبـايا والـبُـعـولـةُ أعـبُـدا

تَعطَّفْ أمـيـرَ المؤمـنين علـيـهمُ
فقـد تركوا أمرَ السـفـاهة والرَّدى

لعلهمُ أن يُحـدثوا العـامَ توبةً
وتعـرفَ نُصـحـاً منهمُ وتوددًّا

لقد شمْتَ يابن الأشعث العامَ مصرنَا
فظلواْ ومـا لاقـوا من الطـير أسعُـدا

كمـا شـاءم الله النُّجَـير[1] وأهلَه
بجَـدِّك مَـن قـد كـان أشـقـى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخلّ سبيلَه.

فقال الحجاج: أتظنون أنه أراد المدح؟!

لا والله! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه، وأراد به أن يحرّض أصحابه.

(١) النجير: حصن باليمن قرب حضرموت.

ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدوّ الله أنك تخدَعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تنجوَ! ألستَ القائل! ويحك!:

وإذا سألتَ: المجدُ أين محلُّه
فالمجدُ بين محمد وسعيدِ

بين الأغرِّ وبين قيس باذخٌ
بَخْ بَخْ لوالده وللمولودِ

والله لا تبخبخ بعدها أبداً.

أو لست القائل:

وأصابني قومٌ وكنتُ أصيبهم
فاليوم أصبِر للزمان وأعرف!

كذبتَ والله ما كنت صبوراً ولا عروفاً. ثم قلت بعده:

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ
فاصبرْ فكل غَيابة ستكشَّف

أمَا والله لتكونَنَّ نكبة لا تنكشف غَيابتُها عنك أبداً! يا حَرَسيّ، اضرب عنقه؛ فضرب عنقه[1].



---

(١) انظر: الأغاني ٦/٥٨ ـ ٦٠.



مقتل

صالح بن عبد القدوس

ترجمته[1]

هو أبو الفضل: صالح بن عبدالقدوس البصري، مولى الأزد، أحد الشعراء المشاهير، كان صاحب حكمة لكنه قليل الدين، ممن تأثر بالفلاسفة في طلبهم الهدى من غير الشريعة، وصاغوا أبيات الحكمة بعيدة عن مقاصدها ومعانيها.

قال عنه الذهبي ـ رحمه الله ـ في الميزان: «صاحب الفلسفة والزندقة» أي أنه خلط بينهما.

وقال أيضاً: «قال النسائي: ليس بثقة. قلت ـ أي الذهبي ـ: لا أعرف له رواية» فتعقبه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «ويتعجب من قول الذهبي: لا أعرف له رواية، مع قول ابن عدي: وقد اتهمه النقاش بحديث: «زكاة الدار الضيافة»، وذكره في الضعفاء، وكذا العقيلي وابن الجارود»[2].

وقال عنه المرزباني في معجم الشعراء: «كان حكيم الشعراء، زنديقاً متكلماً، يقدمه أصحابه في الجدال عن مذهبهم».

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣٠٣/٩)، ومعجم الأدباء (٦/١٢)، ونكت الهميان (ص١٧١)، وتهذيب ابن عساكر (٣٧١/٦)، ووفيات الأعيان (٢٩٤/٢)، وفوات الوفيات (٣٩١/١)، وميزان الاعتدال (٢٩٧/٢)، ولسان الميزان (١٧٢/٣)، وطبقات الشعراء لابن المعتز (ص٨٩).

(٢) لسان الميزان (١٧٣/٣).

وقال الشريف أبو القاسم المراغي في كتاب (غريب الفوائد): «كان حماد الراوية، وحماد عجرد، وحماد بن الزبرقان، وعبدالكريم بن أبي العوجاء، وصالح بن عبدالقدوس وعبدالله بن المقفع، ومطيع بن إياس، يحيى بن زياد الحارثي، وعلي بن الخليل الشيباني، مشهورين بالزندقة والتهاون بأمر الدين»[١].

وقال عنه الخطيب البغدادي: «كان مشهوراً بالزندقة، وله مع أبي الهذيل مناظرات، وشعر كله أمثال وحكم وآداب»[٢].

ومن مستحسن قصائده، قوله:

المرء يجمعُ والزمان يُفرّقُ
ويظلّ يرقَع والخطوب تمزّقُ

ولأن يُعادِي عاقلاً خيرٌ له
من أن يكون له صديقٌ أحمق

فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقاً
إن الصدّيق على الصّديق مصدّق

وزن الكلام إذا نطقتَ فإنما
يُبدي عقول ذوي العقول المنطق

ومنَ الرّجال إذا استوت أخلاقهم
مَنْ يُستَشار إذا استشيرَ فيُطرق

---

(١) لسان الميزان (٣/١٧٣).

(٢) تاريخ بغداد (٩/٣٠٣).

حـــتى يَحُلَّ بكلّ وادٍ قلبـــه
فـيرى ويعـرف ما يقـول فـينطق

لا ألفِـــيَنّك ثاوياً في غُـــربَةٍ
إنّ الغـــريب بكلّ ســـهم يُرشَق

مـا الناس إلا عـامـلان فـعـامل
قـد مـات من عطش وآخـر يَغْـرَق

والنّاسُ في طلب المعـاش وإنّمـا
بـالجـــدّ يُرْزق مـنهمُ مَنْ يُرزق

لو يرزقون الناس حسبَ عقولهم
ألفَـيتَ أكـثـرَ مـن ترى يتـصـدّق

لكنه فـــضل المليك عليـــهم
هـذا عليـــهِ مُـوَسَّعُ ومُـضـيّق

وإذا الجنـازة والعـــروس تلاقـــيا
ورأيت دمـع نـوائح يَتَـــرَقـــرَق

سكتَ الذي تبع العـروس مبُهَتـاً
ورأيـت مـن تـبـع الجنـازة يَـنطِق

وإذا امـرؤ لسـعـتـه أفـعـى مَـرَّة
تركَـتـهُ حينَ يجـرُّ حـبـلاً يَفـرَق

بـقـيَ الذين إذا يقـــولوا يكذبوا
ومضى الذين إذا يقولوا يصدُقُوا

ومن قصائده الجميلة أيضاً قوله:

صرَمتْ حبالَكَ بعد وصلك زينبُ
والدّهر فيه تصرُّمٌ وتقلّبُ

نشرت ذوائبها التى أضحتْ لها
سوداً ورأسك كالثغامة أشيبُ

وكذاك وصلُ الغانيات فإنهُ
آلٌ ببلقَعة وبَرقٌ خُلّبُ

فدع الصّبا فلقد عداك زمانه
واجهدْ فعمرك مرّ منه الأطيَبُ

ذهب الشباب فما له من عودةٍ
وأتى المشيب فأين منهُ المهرب

دَع عنك ما قد فات في زمن الصّبا
واذكُرْ ذُنُوبَكَ وابكها يا مُذنبُ

واذكر مُناقشة الحساب فإنّه
لا بُدّ يُحصَى ما جَنيتَ ويكتبُ

والليل فاعلم والنهار كلاهما
أنفاسنا فيه تُعَدُّ وتحسَبُ

لم يَنسَهُ المَلكان حين نسيتهُ
بل أثبتاه وأنت لاه تلعَبُ

والرُّوح فـيك وديعـة أودِعـتَـهـا
سَـتـرُدُّها بالرَّغمِ منكَ وتُسلبُ

وغُـرور دُنيـاك التي تَسـعى لهـا
دار حـقـيـقـتُـهـا مـتـاع يذهبُ

وجـمـيع مـا حـصَّلتـهَ وجـمـعتـه
حـقـاً يقـيناً بعـد مـوتك يُنهبُ

تبـاً لدار لا يدوم نعـيـمـهـا
ومَـشـيـدها عـمّـا قليل يَخـرَبُ

فاسـمع هُدِيتَ نصائحاً أَوْلاكَها
بَـرٌّ نصـوح للأنام مـجـرّبُ

أَهدى النصيحةَ فاتّعظ بمقاله
فـهـو التَـقيُّ اللّوْذَعِيُّ الأدربُ

لا تـأمـنِ الدّهَـر الخـؤون لأنه
مـا زال قِـدْمـاً للرجـال يُهـذّبُ

وكـذلك الأيام في غـصَّـاتهـا
مَـضَضٌ يذِلُّ له الأعـزّ الأنجبُ

ويَفـوز بالمال الحـقـيـرُ مكانةً
فـتـراهُ يُرْجَى مـا لدَيه ويرْغبُ

ويُسَـرُّ بالتّـرحـيب عند قـدومـه
ويُقـامُ عند سـلامـه ويُقَـرَّبُ

فاقنَعْ ففي بعض القناعة راحة
ولقد كُسي ثوبَ المَذَلَّة أشعَبُ

* لا تحرصَنْ فالحرص ليس بزائدٍ
في الرّزق بل يُشقي الحريص ويُتعبُ

كم عاجزٍ في الناس يأتي رزقُهُ
رغداً ويُحرَمُ كيّس ويُخيَّبُ

فعليك تقوَى الله فالزمها تَفزْ
إن التّقيَّ هو البَهيُّ الأهيبُ

واعملْ بطاعته تنَلْ منه الرّضا
إن المطيع لربّه لمقرَّبُ

أدّ الامانة والخيانة فاجتنبْ
واعدِل ولا تظلم يطيبُ المكسبُ

واحذر من المظلوم سهماً صائباً
واعلم بأن دعاءَهُ لا يُحجبُ

واخفِضْ جناحك للأقارب كلّهم
بتذَللٍ واسمح لهم إن أذنبوا

وإذا بليتَ بنكبة فاصبِرْ لها
من ذا رأيتَ مُسلَّماً لا يُنكبُ

وإذا أصابك في زمانك شدَّةٌ
وأصابك الخطبُ الكريهُ الأصعَبُ

فـــاســـجـــد لرَبّك إنه أدنى لِمَنْ
يدعـوه من حـبل الوريدِ وأقـرَبُ

واحـــذر مـــؤَاخـــاة الدَّنيّ لأنه
يعدي كما يعدي الصحّيحَ الأجرَبُ

واختر صديقك واصطفيه تفاخُراً
إن القَـرِينَ إلى المقـــارنِ يُنسَبُ

ودع الكذوب ولا يكنْ لك صاحباً
إن الكذوب لبـئس خِـلاً يُصـحَبُ

وذَرِ الحـقـودَ وإن تقـادم عـهـدُهُ
فالحقِدُ باق في الصُّدُورِ مُغيَّبُ

واحـفَظ لسانك واحـترِز من لفظه
فــالمرء يسلم باللّســان ويَعطَبُ

وزن الـكلام إذا نـطـقـتَ ولا تـكـن
ثـرْثـارَةَ فـي كـلّ نـاد تـخـطـبُ

والسّـر فـاكـتُـمـه ولا تنطق به
فـهـو الأسـيرُ لديك إذ لا ينشَبُ

واحرص على حفظ القلوب من الأذى
فـرُجوعُها بعد التنافُر يصعُبُ

إن القـلـوب إذا تـنـافـــــر ودُهـا
شِبْهُ الزُّجاجة كَسرها لا يُشعَبُ

واحــذر عــدُوّك إذ تراه باســمــاً
فــاللّيثُ يبــدُو نابُه إذ يغــضَبُ

وإذا الصّـديق رأيتَــهُ مُـتَـملّقــاً
فـهــو العــدوُّ وحــقُّــه يُتــجنبُ

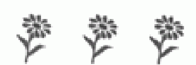
* لا خــيــر في ودّ امــرئ مُــتــملّق
حُلوِ اللّســـان وقلبُـــهُ يتلَهَّبُ

* يُعطيك من طرَف اللّسان حلاوة
ويروغ منك كـمـا يَروغ الثّـعلبُ

يلقـــاك يحلِف أنه بك واثقٌ
وإذا توَارى عنك فـهـو العـقـرَبُ

وإذا رأيتَ الـرِّزْق ضـــاق ببلـدة
وخَشيتَ فيها أن يضيق المكسبُ

فارحلْ فأرض الله واسعة الفضا
طولاً وعرضاً شَرْقها والمغرب[١]



(١) انظر: جواهر الأدب، للهاشمي (ص٦٦٧ - ٦٧٠).

مقتله

لقد تدرج الشيطان بهذا الشاعر الزنديق في مهاوي الردى، وتقلب به بين دركات الضلال، إلى أن جعله يمس جناب المصطفى ﷺ ويُعَرِّض به في شعره، والعياذ بالله!

وقد نقل ابن المعتز قصيدته القبيحة في كتابه (طبقات الشعراء) مدللاً على زندقة الرجل، وقال بعدها: «عليه لعنة الله إن كان قالها».

وهي قوله:

غَضَبَ المسكينَ زوجتَه
فجرَتْ عيناه من دُرَره

ما قضى المسكينُ من وَطَرٍ
لا ولا المعشار من وطره

عذتُ بالله اللطيف بنا
أن يكون الجَوْر من قدره

يُعَرِّض الزنديق بقصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش - رضي الله عنها - زاعماً الخبيث أن رسول الله ﷺ قد أكره زيد بن حارثة رضي الله عنه على طلاقها حتى يتسنى الزواج بها!!

متناسياً أن الله قد قطع الظنون حول هذا الزواج بإنزال آيات مباركات من القرآن تكشف حقيقته؛ ليهلك بعدها من هلك عن بينة.

وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾.

وملخص القصة كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح البارى[1].

«قد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي، فساقها سياقاً حسناً واضحاً، ولفظه:

«بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، كان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة ـ مولاه ـ فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله فزوجها إياه، ثم أعلم الله نبيه بعد أنها من أزواجه، فكان يستحيي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيداً».

أي قبل أن يُحرم الإسلام التبني، فأراد الله بهذه الحادثة أن يبين للناس حكماً كانوا يجهلونه، وهو جواز أن يتزوج الرجل مطلقه

---

(١) (٨/٣٨٤).

من تبناه قبل تحريم التبني، وأنها لا تكون كزوجة الولد المطلقة، ودليله قوله سبحانه بعد ذكر الحادثة: ﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

أما ما ذكره بعض المفسرين من روايات مكذوبة أو ضعيفة في تفسير هذه الآية من أن النبي ﷺ رأى زينب بنت جحش فأعجبته فأراد زيد فراقها، فقال له ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ويخفي في نفسه محبة الزواج بها!

فكل هذا باطل لا يصح، وقد نزه الله رسوله ﷺ عنه.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بعد أن أخرج القصة السابقة: «وردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها»[١].

وما أحسن ما قاله ابن القيم - رحمه الله - تعليقاً على هذه القصة: «وأما ما زعمه بعضُ من لم يقدر رسول الله ﷺ حقَّ قدره أنه ابتُلي به في شأن زينب بنت جحش، وأنه رآها فقال: «سُبْحَانَ مُقَلِّب القُلُوبِ»، وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد ابن حارثة: أمسكها حتى أنزل الله عليه: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾، فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن

---

(١) فتح البارى (٨/٣٨٤).

العشق، وصنَّف بعضهم كتاباً في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميلهِ كلام الله ما لا يحتمِلُه، ونسبته رسول الله ﷺ إلى ما برأه الله منه، فإن زينبَ بنتَ جحش كانت تحتَ زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ قد تبناه، وكان يُدعى زيد بن محمد وكانت زينبُ فيها شمم وترفُّع عليه، فشاور رسول الله ﷺ في طلاقها، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وأخفى في نفسه أن يتزوَّجَها إن طلقها زيد، وكان يخشى مِن قالة الناس أنه تزوَّج امرأة ابنه؛ لأن زيداً كان يدعى ابنه.

فهذا هو الذي أخفاه في نفسه، وهذه هي الخشية من الناس التي وقعت له؛ ولهذا ذكر سبحانه هذه الآية يُعدد فيها نعمه عليه لا يُعاتبه فيها، وأعلمه أنه لا ينبغي له أن يخشى الناسَ فيما أحل الله له، وأن الله أحقُّ أن يخشاه، فلا يتحرَّج ما أحله له لأجل قول الناس، ثم أخبره أنه سبحانه زوَّجه إياها بعد قضاء زيد وطره منها لتقتدي أمَّتُه به في ذلك، ويتزوج الرجل بامرأة ابنه من التبني، لا امرأة ابنه لصُلبه، ولهذا قال في آية التحريم: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾.

وقال في هذه السورة: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾. وقال في أولها: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾.

فـتـأمَّل هذا الذبَّ عن رسـول الله ﷺ، ودفع طعن الطاعنين عنه، وبالله التوفيق»[١].

الحاصـــل:

أن هذا الزنديق قد ارتقى مرتقىً صعباً بتطاوله ولمزه لرسول الله ﷺ، وهو الأمـر الذي يُحكم على فـاعله بالردة والقـتل دون استتابه، نعوذ بالله من غضب الله.

سارت هذه الأبيات السيئة بين الناس، فحملها أصحاب الغيرة والصدق إلى خليفة المسلمين المهدي العباسي الذي قام بطلب إحضار صالح بن عبدالقدوس للتحقيق معه.

قال القاضي ابن خلكان[٢]: «فـأحضـره المهدي وقال له: أنت القائل هذه الأبيات؟!

فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أشركتُ بالله طرفة عين، فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة، وقد قال النبي ﷺ: «**ادرؤا الحدود بالشبهات**»، وجعل يتلو عليه القرآن حتى رقَّ له، وأمر بتخليته.

فلما ولى قال له المهدي: أنشدني قصيدتك السينية.

---

(١) زاد المعاد (٤/٢٦٦ ـ ٢٦٧). ومن أراد زيادة البيان في تفنيد هذه القصة الباطلة فعليه برسالة (التحقيق في قصة زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ في ضوء الكتاب والسنة) للشيخ محمد سالم الجكني.

(٢) وفيات الأعيان (٢/٤٩٢) بتصرف يسير.

فأنشده، حتى بلغ إلى قوله فيها:

والشـيخ لا يتـرك أخـلاقـه

حـتى يوارى في ثرى رمسـه

إذا ارعـوى عـاد إلى جـهلـه

كـذي الضنى عـاد إلى نكسـه

فقال له المهدي: فأنت لا تترك أخلاقك، ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك، ثم أمر به فقتل وصُلب على الجسر».

وقال ياقوت في معجم الأدباء(١): «قتله المهدي بيده، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعُلِّق بضعة أيام للناس، ثم دُفن».

❀ ❀ ❀



(١) (١٢ / ٧ - ٨).

مقتل

حمّاد عجرد

ترجمته(١)

هو حمّاد بن يحيى بن عمرو بن كليب، ويكنّى أبا عمرو مولى عامر بن صعصعة. وذكر ابن النطاح أنه مولى بني عقيل، وأصله ومنشؤه بالكوفة.

وقال صالح بن سليمان: «كان عم حمّاد عجرد يقال له: مولى بن كليب، وكانت له بقيّة. وابن عمّه عمارة بن حمزة بن حمزة بن كليب. انتقلوا من الكوفة، ونزلوا واسطاً فكانوا بها».

لا تتفق المصادر على نسبه وولائه وكنيته، ولكنها تتفق جميعاً على لقبه، إلاّ أنها تعود وتختلف في تعليل هذا اللقب.

فيقول أبوالفرج في موضع من الأغاني(٢): إن أعرابياً مرّ بحمّاد عجرد وهو يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان. فقال: «تعجرد يا غلام» فسمي عجرداً. والمتعجرد المتعري. وذكر أبو الفرج براوية عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء أنه سمّي «عجرداً» لقول عمرو بن سندي، مولى ثقيف، فيه:

سحبت بغلة ركبت عليها
عجباً منك خيبة للمسير

---

(١) انظرها موسعة في: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٧٥٤)، والأغاني (١٤/٣٠٤ - ٣٦٣)، وتاريخ بغداد (١٤٨/٨)، ومعجم الأدباء (٢٤٩/١٠)، وطبقات الشعراء لابن المعتز (٦٦٣)، ووفيات الأعيان (٢١٠/٢)، ورسالة (حماد عجرد) للدكتورة نازك سابا يارد، ومنها استفدنا كثيراً مما جاء في الترجمة.

(٢) الأغاني (٣٠٥/١٤).

زعمت أنها تراه كبيراً
حملها عجرد الزنا والفجورِ
إن دهراً ركبت فيه على بغـ
ـل وأوقفته بباب الأميرِ
لجديرٌ أن لا نرى فيه خيراً
لصغير منا ولا لكبيرِ[1]
ما امرؤ ينتقيك يا عُقدة الكلـ
ـب لأسراره بجد بصيرِ[2]
لا ولا مجلس أجنك للذا
ت يا عجرد الخنا بستيرِ[3]

أما والد حماد فكان مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة أو كان وكيلاً لها في ضعيتها في السواد.

كان حماد عجرد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وكان على اتصال بخلفاء الدولتين، إلا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس.

فيذكر صاحب الأغاني أن الوليد بن يزيد أمر شراعة بن الزندبوذ[4] أن يسمي له جماعة ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة.

---

(١) في هذا سب للدهر لا يجوز كما هو معلوم، ولكنه غير مستغرب على متهتكي الشعراء، ومجانهم، فما هي بأول بوائقهم.
(٢) عقدة الكلب: قضيبه.
(٣) أجنك: سترك. الخنا: الفحش. ستير: مستور.
(٤) شاعر أموي.

فسمّى له مطيع بن أياس وحمّاد عجرد والمطيعي المغني، فكتب في إشخاصهم إليه، فأشخصوا، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قُتل الوليد، ثم عادوا إلى أوطانهم.

أما حمّاد عجرد فقد أقام مدة في بغداد، إلا أنه خرج منها أيام أبي جعفر المنصور في طلب المعاش، فذهب مع يحيى بن زياد إلى محمد بن أبي العباس(١).

يُعد حمّاد عجرد من زنادقة الشعراء ومتهتكيهم باتفاق الرواة والمؤرخين، وله في هذا المجال الأبيات والمواقف الكثيرة التي تتضح بهذا.

وثارت بينه وبين الشاعر الأعمى بشار بن برد أهاجٍ وقبائح ومطارحات شعرية بذيئة.

فمن ذلك قوله عن بشار(٢):

نهاره أخبث من ليله
ويومه أخبث من أمسه

وليس بالمقلع عن غيه
حتى يواري في ثرى رمسه

وقوله:

لو طليتْ جلدته عنبراً
لأفسدت جلدته العنبرا

---

(١) وهو ابن خال أبي العباس السفاح أول خلفاء العباسيين.
(٢) الأغاني (١٤/٣١٣).

أو طليت مسكاً زكياً إذاً
تحول المسكُ عليه خـ..

ومن قول بشار فيه:

ما لمتُ حماداً على فسقه
يلومه الجاهل والمائقُ

قال الخطيب البغدادي[١] عنه: «كان خليعاً ماجناً»

وروى بسنده عن علي بن الجعد: «قال: قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم: حماد عجرد، ومطيع بن إياس الكناني، ويحيى بن زياد، فنزلوا بالقرب منا، فكانوا لا يُطاقون خبثاً ومجانةً».

وذكر ياقوت في معجم الأدباء[٢] عن إبراهيم العامري: «كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون! حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان يتنادمون ويتعاشرون معاشرة جميلة، ويتناشدون الأشعار، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكانوا يُرمون بالزندقة جميعاً».



(١) تاريخ بغداد (١٤٩/٨).
(٢) (٢٥٠/١٠) والشعر والشعراء لابن قتيبة (٦٦٣).

مقتلـه

مر معنا أن حمّاد عجرد توجه إلى محمد بن أبي العباس في البصرة فكان عنده، وكان محمد هذا يهوى زينب بنت سليمان بن علي منذ أن قدم البصرة أميراً عليها من قبل عمه أبي جعفر المنصور.

فخطبها، فلم يزوجوه بها لخلل كان في عقله، وكان حمّاد عجرد من ندمائه فقال له: قل فيها شعراً. فشبب[١] بها حمّاد عجرد على لسان محمد هذا بقصيدة سارت على ألسنة أهل البصرة، يقول فيها[٢]:

زينبُ ما ذنبي وماذا الذي
غضبتم منه ولم تغضبوا

والله ما أعرف لي عندكم
ذنباً ففيم الهجر يا زينبُ؟

إن كنتُ قد أغضبتكم ضلّةً
فاستعتبوني إنني أعتبُ

---

(١) تغزل.
(٢) وله أبيات أخرى ـ أيضاً ـ يشبب فيها بزينب على لسان محمد بن أبي العباس، تجدها في الأغاني (١٤/٣٥٥ و٣٥٨).

عـودوا علـى جـهلي بأحـلامكم
إنـي ـ وإن لـم أذنـب ـ المذنـبُ

فلما سمع محمد بن سليمان أخو زينب بهذا الشعر طلب قتل حمّاد عجرد بسببه، ولكنه لم يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبي العباس.

فلما مات محمد بن أبي العباس طلبه محمد بن سليمان ليقتله، فهرب منه حماد إلى أبي جعفر المنصور وقال عدة أشعار يستعطف محمد بن سليمان لعله يرضى عنه، ومن ذلك قوله له:

يـابـن عـمّ الـنبـي وابـن الـنبـي
لـعـلـيّ إذا انتـمـى وعـلـيّ

أنتَ بدرُ الدجى المُضيءُ إذا أظـ
ـلم واسودّ كلُّ بدرٍ مُضي

وحيا الناس في المُحول إذا لم
يُجدِ غيثُ الربيع والوسَمي[(١)]

إن مـولاك قـد أسـاءَ ومن أعـ
ـتب من ذنبه فغير مُسي

ثم قـد جـاء تائباً فاقبل التـو
بة منه يابـن الوصي الرضي[(٢)]

---

(١) الحيا: المطر. والمحول: جمع محل وهو الجدب. والوسمي: مطر الربيع الأول؛ لأنه يسم الأرض بالنبات.

(٢) يعني بالوصي علياً رضي الله عنه، وهذا من أباطيل الشيعة وأكاذيبهم حيث يزعمون أنه ﷺ أوصى له بالخلافة بعده!.

ولكن محمد بن سليمان لم يرض بذلك وجدَّ في طلبه، فأجاره أبو جعفر المنصور ولكنه اشترط عليه أن يهجو محمد بن سليمان!!

فقال يهجوه:

قل لوجه الخصي ذي العار إني
سوف أهدي لزينبَ الأشعارا

قد لعمري فررتُ من شدّة الخو
ف وأنكرتُ صاحبيَّ نهارا

وظننتُ القبور تمنع جاراً
فاستجرت الترابَ والأحجارا[١]

كنت عند استجارتي بأبي أيّ
وبَ أبغي ضلالةً وخسارا

لم يُجرني ولم أجد فيه حظاً
أضرم الله ذلك القبر نارا

وقال فيه:

له حَزمُ برغوثٍ وحلم مُكاتب
وغُلمةُ سِنَّورٍ بليل تُولولُ

---

(١) كان حماد عجرد قبل أن يهرب إلى أبي جعفر المنصور قد استجار بقبر سليمان ابن علي والد محمد بن سليمان!! وهذا شاهد آخر على قلة ديانة هذا الشاعر الزنديق الذي لم يبال بارتكاب الشركيات في سبيل دنياه.

وقال فيه أيضاً:

يا بنَ سليمانَ يا محمدُ يا
من يشتري المكرمات بالسمن
إن فخرتْ هاشمٌ بمكرمةٍ
فخرتَ بالشحم منك والعُكن
لؤمكَ بادٍ لمن يراك إذا
أقبلتَ في العارضين والذَّقن
ليتك إذ كنتَ ضيقاً نكراً
لم تُدع من هاشمٍ ولم تكن
جدَّاك جدَّان لم تُعبْ بهما
لكنما العيبُ منك في البدن

فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال: والله لا يُفلتني أبداً، وإنما يزداد حنقاً بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً.

ثم إن حماداً هرب من محمد بن سليمان، فأقام بالأهواز مستتراً، وبلغ خبره محمد بن سليمان، فأرسل مولىً له إلى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به، فقتله غيلةً.

وقيل بأنه قتله على الزندقة[1].

---

(١) وفيات الأعيان (٢/٢١٣) والبداية والنهاية (١٠/١١٤).

تقـول الدكـتـورة نازك سـابا يارد[١]: يبـدو أن اتهـام حـمـاد بالزندقـة لم يكن سـببـه تحـامل بشـار عليـه، بل نجـد إشـارة إلى زندقته في كل المصادر التي ذكرته، ويروي أبو الفرج الأصبهاني أن حماداً قال عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: «إنهم تعبدونا في كل أمر معنت متعب»!! نعوذ بالله من الضلال.

وما أجمل ما قاله الشاعر أبو هشام الباهلي الشاعر البصري عندما وقف على قبر بشار بن برد وحماد عجرد، فقال:

قـد تبـع الأعـمى قـفى عـجـرد
فـأصـبـحـا جـارين في دار

قـالت بقـاع الأرض لا مـرحـبـاً
بقــرب حــمّــاد وبشّــار

تجــاورا بعــد تنائيــهــمــا
مــا أبغض الجــار إلى الجــار

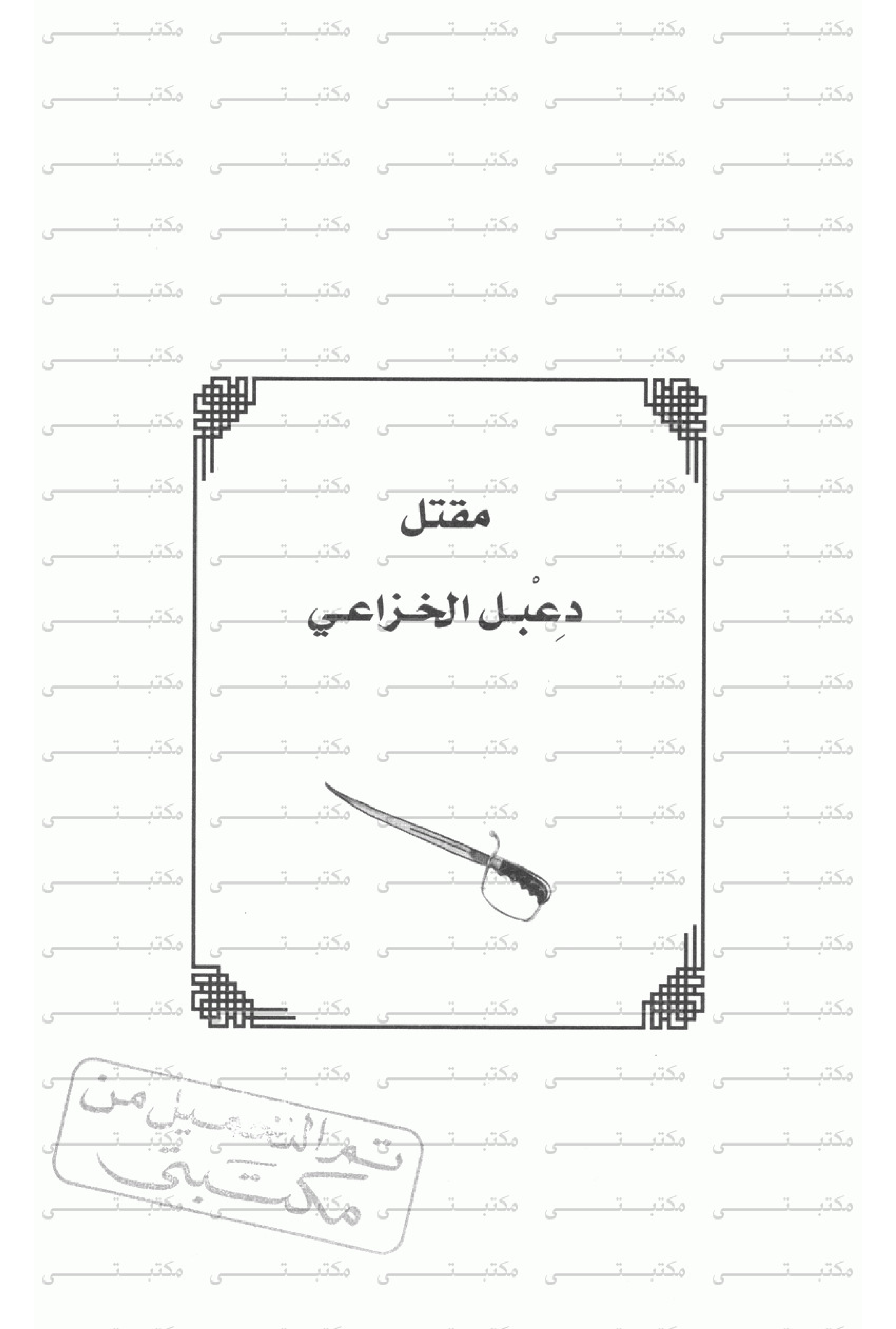
صـارا جـمـيعـاً في يدي مـالك
في النـار، والكافـر في النـار[٢]

وإن كنا لا نوافقـه على الحكم على معين بدخول النـار، سوى من حكم الله عليه ورسوله ﷺ.

والله الهادي.

---

(١) حماد عجرد (ص ١٩ ـ ٢٠).
(٢) وفيات الأعيان (٢/٢١٣)، والأغاني (١٤/٣٦٣).


مقتل
دِعْبل الخزاعي
تم التحميل من
مكتبتي

ترجمته[١]

هو دِعْبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش ابن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة الخزاعي يكنى أبا علي.

أصله من الكوفة وأقام ببغداد.

قيل: إن دعبلاً لقب، وإن اسمه الحسن. ودعبل بكسر الدال هو اسم الناقة.

ولد سنة (١٤٨هـ).

كان دعبل الخزاعي شاعراً مجيداً في الشعر، اشتهرت له بين الناس قصائد جميلة، يأتي في مقدمتها قصيدته الشهيرة في مدح آل البيت، قال عنها ياقوت في معجم الأدباء: «من أحسن الشعر وأسنى المدائح» قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عليها عشرة آلاف درهم، وخلع عليه بُردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قُم ثلاثين ألف درهم فلم يبعها.

وهي قوله:

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ
ومنزلُ وحْيٍ مُقفر العرصاتِ

---

(١) انظرها موسعة في : الشعر والشعراء (٧٢٧)، وتاريخ بغداد (٣٨٢/٨)، والأغاني في (٦٨/٢٠-١٤٥)، ولسان الميزان (٤٣٠/٢)، ومعجم الأدباء (٩٩/١١)، والسير (٥١٩/١١)، وغيرها من المراجع.

لآل رسول الله بالخيْف من مِنىً
وبالركن والتعريفِ والجَمَرَاتِ

ديار عفاها كل جون[١] مباكر
ولم تعف للأيام والسنواتِ

قفا نسأل الدار التي خف أهلها
متى عهدها بالصوم والصلواتِ

وأين الأولى شطت بهم غربة النَّوى
أفانينَ في الآفاق مفترقاتِ[٢]

هُمُ أهلُ ميراث النبي إذا اعتزوا
وهم خيرُ قاداتٍ وخيرُ حماةِ

وما الناس إلا حاسدٌ ومكذِّبٌ
ومُضْطَغِنٌ ذو إحنةٍ وتِرَاتِ[٣]

إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبرٍ
ويوم حنينٍ أسبلوا العبراتِ

قُبورٌ بكوفاتٍ وأخرى بطيبةٍ
وأخرى بفخٍ[٤] نالها صلواتي

(١) الجون: سحاب أسود ممطر.
(٢) شطت: بعدت. أفانين : حال مما قبله يريد على أنواع وأحوال من التفرق .
(٣) إحنة: حقد، والترة : الثأر.
(٤) فخ: موضع بمكة.

وقبرٌ ببغداد لنفسٍ زكية
تضمنها الرحمن في الغرفاتِ

فأما المصمّاتُ التي لست بالغاً
مبالغها مِنّي بكُنْهِ صفاتِ

نفوس لدى النهرين من أرض كربلا
معرسهم فيها بِشَطِّ فُراتِ

تَقَسَّمَهُمْ ريبُ الزمان كما ترى
لهم عمرة[1] مغشية الحجراتِ

سوى أن منهم بالمدينة عُصبةً
مدى الدهر أنضاء[2] من الأزماتِ

قليلة زوارٍ سوى بعض زور
من الضبع والعقبانِ والرخماتِ

لهم كلَّ حينٍ نومةٌ بمضاجعٍ
لهم في نواحي الأرض مختلفاتِ

وقد كان منهم بالحجازِ وأهلها
مغاوير يُخْتَارُونَ في السرواتِ[3]

---

(١) العمرة: الزيارة.

(٢) أنضاء: صفة عصبة.

(٣) مغاوير. جمع مغوار: المقاتل كثير الغارات. السروات: جمع سراة اسم جمع أسرى، وهو الشريف ذو المروءة، يريد أنهم معدودون في السروات.

تنكَّبُ لأواء[١] السنين جوارَهُم

فلا تصطليهم جمرةُ الجمرات

إذا وردوا خيلاً تشمس بالقنا

مساعرُ جمر الموتِ والغمراتِ[٢]

وإن فخروا يوماً أتوا بمحمدٍ

وجبريل والفرقانِ ذي السُّوراتِ

مَلاَمَك[٣] في أهل النبي فإنهم

أحِبَّايَ ما عاشوا وأهلُ ثِقَاتي

تخيرتهم رشداً لأمري فإنهم

على كل حالٍ خِيرةُ الخِيَراتِ

فيارب زدني من يقيني بصيرةً

وزد حُبَّهم يارب في حسناتي

بنفسيَ أنتمْ من كهولٍ وفتيةٍ

لفك عُناةٍ أو لحملِ دياتِ

أُحِبُّ قَصيَّ الرحمِ من أجلِ حُبكم

وأهجر فيكم أسرتي وبناتي

---

(١) اللأواء: الشدة وضيق العيش. وتتكب: تعدل عنهم.

(٢) تشمس الفرس: منع ظهره وأبى الركوب، ومساعر: فاعل تشمس جمع مسعر، يريد إنهم إذا وردوا حرباً كان بهم ما بالخيل من تشمس، فيسعرون جمرات الموت بالقنا ولن يردهم عنها راد.

(٣) ملامك: منصوب على التحذير، والمعنى كف ملامك عني في أهل النبي.

وأكتمُ حُبِّيْكم مخافة كاشحٍ
عنيدٍ لأهل الحق غيرِ مواتِ
لقد حفَّتِ الأيام حولي بشرّها
وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أني من ثلاثين حجةً
أروحُ وأغدو دائم الحسراتِ
فلولا الذي أرجوه في اليومِ أوْ غَدٍ
لقطَّع قلبي إثرَهم حسراتي
سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم
كَفَانِيَ ما ألقى من العبراتِ
فيانفسُ طيبي ثم يا نفس أبشري
فغير بعيدٍ كل ما هو آتِ
فإن قَرَّبَ الرحمن من تلك مدتي
وأخَّر من عمري لطولِ حياتي
شُفيتُ ولم أترك لنفسي رزية
وَرَوَّيْتُ منهم مُنْصُلِي وقناتي
أحاولُ نقل الشمسِ من مستقرها
وأسمعُ أحجاراً من الصَّلَدَاتِ
فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ
يميل مع الأهواء والشبهاتِ

قُصَارَاى[١] منهم أن أموت بغُصة ... ترددُّ بين الصَّدْرِ واللَّهَوَاتِ

كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبُها ... لما ضُمّنت من شدةِ الزفراتِ

وهي قصيدة طويلة جميلة، لولا ما شانها به من غلوٍ في تشيعه، أخرجه عن السنة والطريقة القويمة في محبة آل بيت النبي ﷺ.

ومن مستحسن شعر دعبل أيضاً: قوله:

أين الشباب وأيَّةً سَلَكَا؟ ... لا أين يُطلب ضلَّ بل هَلَكَا؟؟

لا تَعْجَبِي يا سَلْمُ من رجلٍ ... ضَحِكَ المشيب برأسهِ فبكى

ياليت شعري كيف يومكُما ... يا صاحِبَيَّ إذا دمي سُفِكا؟

لا تأخذوا بظُلامتي أحداً ... قلبي وطرفي في دمي اشتركا

كان دعبل شاعراً -كما قال ابن خلكان-: «بذئ اللسان، مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء فمن دونهم»[٢].

---

(١) قصاراى: يقال: قصاراك أن تفعل كذا: أي جهدك وآخر أمرك .

(٢) وفيات الأعيان (٢/٢٦٦).

وقال عنه الخطيب البغدادي: «كان خبيث اللسان، قبيح الهجاء»[١] حتى إنه هجا قبيلته خزاعة.

وكان دعبل أيضاً كما قال الإمام الذهبي -رحمه الله-: «من غلاة الشيعة» «خبيث اللسان والنفس»[٢].

وقال عنه أيضاً: «رافضي بغيض سبّاب»[٣].

كان المعتصم العباسي يبغض دعبلاً لطول لسانه، فبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله، فهرب منه إلى الجبل وقال يهجوه:

بكى لشتات الدين مكتئب صب
وفاض بفرط الدمع من عينه غربُ

وقام إمام لم يكن ذا هدايةٍ
فليس له دين وليس له لُبُّ

وما كانت الآباء تأتي بمثلهِ
يملك يوماً أو تدين له العربُ

ولكن كما قال الذين تتابعوا
من السلف الماضين إذ عظم الخطبُ

ملوك بني العباس في الكتب سبعة
ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كتبُ

---

(١) تاريخ بغداد (٣٨٣/٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥١٩/١١).
(٣) ميزان الاعتدال (٢٧/٢).

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
خيارٌ إذا عدوا وثامنهم كلبُ

وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة
لأنك ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ

لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم
وصيف وأشناسٌ وقد عظم الكربُ[١]

وفضلُ ابن مروانٍ سيثلم ثلمةً
يظلُ لها الإسلام ليس له شَعبُ[٢]

وهجاه -أيضاً- بعد موته! [٣] ثم هجا بعده المتوكل!، وقبله هجا الرشيد والمأمون!



(١) وصيف وأشناس غلامان تركيان من قواد عند المعتصم.
(٢) شعب: اجتماع والتئام.
(٣) الأغاني (٢٠/٩٧).

مقتله

لقد أسرف دعبل الخزاعي في هجاء الناس، فكان حتفه على يد أحد مهجويه، ومن الملفت للنظر أنه قد تعرض في شعره لخلفاء كثيرين - كما سبق- إلا أنه نهايته كانت على يد من كان أقل منهم مكانةً وسلطاناً.

فقد قصد دعبل يوماً ما (مالك بن طوق) ومدحه، فلم يرضَ ثوابه، فخرج عنه وقال فيه:

إن ابن طوق وبني تغلبٍ
لو قُتلوا أو جُرحوا قُصْرَهْ[1]

لم يأخذوا من ديةٍ درهما
يوماً ولا من أَرشهم[2] بعرةْ

دماؤهم ليس لها طالب
مطلولة مثل دم العُذْرةْ

وجوههم بيض وأحسابهم
سود وفي آذانهم صُفرهْ

وقال فيه -أيضاً-:

سألت عنكم يا بني مالكٍ
في نازح الأرض وفي الدانية

---

(١) القصرة: بضم القاف وفتحها: الداني النسب.

(٢) الأرش: الدية.

طُراً فلم تُعرف لكم نسبة
حتى إذا قلتُ بنو الـ..

قالوا: فدع داراً على يمنيةٍ
وتلك ها دارهم ثانية

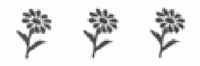
وبلغت الأبيات مالكاً، فطلبه فهرب، فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب وقد كان بلغه هجاء دعبل وعبدالله بن أبي عيينة نزاراً، فأما ابن أبي عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه، وأما دعبل فإنه حين دخل البصرة بعث إليه مالكٌ فقبض عليه، ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه، فجحد القصيدة وحلف عليها بالطلاق ثلاثاً وبكل يمين تبرئ من الدين أنه لم يقلها، وأن عدواً له قالها، ونسبها إليه ليغري بدمه، وجعل يتضرع إليه، ويبكي بين يديه، فرقَّ له وقال: أما إذ أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك.

ثم دعا له بالعصا فُضرب بها حتى سَلَح[1] وأمر به فألقي على قفاه وفتح فمه، فرد سلحه فيه!! والمقارع تأخذ رجليه، وهو يحلف ألا يكفَّ عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله، فما رُفعت عنه حتى بلع سلحه كله! ثم خلاه، فهرب إلى الأهواز.

---

(١) سَلَح: أي تغوط.

فبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً مقداماً أعطاه سمّاً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، فلم يزل الرجل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة، إذْ ضرب ظهرَ قدمه بُعكّاز مسموم فمات من الغد، ودفن بتلك القرية والله أعلم.





مقتل

بشار بن بُرد

ترجمته[١]

هو أبو معاذ: بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء، الشاعر الضرير المشهور، ذكر له أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ستةً وعشرين جداً أسماؤهم أعجمية[٢].

كان بشار قيناً[٣] لرجل من الأزد، فتزوج الرجل امرأة من بني عقيل وساق إليها بشاراً وأمة في صداقها، وكان بشار مكفوفاً فأعتقته العقيلية، وكان بشار يلقب بالمرَعَّث لقوله:

قال ريم مرعَّث
ساحر الطرف والنظر

لست والله نائلي
قلتُ أو يغلب القدر

أنت إن رمت وصلنا
فانجُ، هل تدرك القمر

(١) انظر ترجمته متوسعة في: الشعر والشعراء (٢/٧٥٧-٧٦٠)، وطبقات ابن المعتز (٢١-٣١) وتاريخ الطبري (٨/١٨١)، والأغاني (٣/١٢٩-٢٤٥)، ووفيات الأعيان (١/٢٧١-٢٧٤)، وسير أعلام النبلاء (٧/٢٤)، ولسان الميزان (٢/١٥-١٦)، وغيرها من المراجع. وانظر أيضاً: كتاب إبراهيم المازني (بشار بن برد).
(٢) الأغاني (٣/١٢٩).
(٣) أي عبداً.

ولد بشار بن برد أعمى، فما نظر إلى الدنيا قط، وكان يُشبِّه الأشياء بعضها ببعض في شعره، فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله، فقيل له يوماً وقد أنشد قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط، ولا شيئاً فيها؟!

فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء؛ فيتوفر حسه، وتذكو قريحته، ثم أنشدهم قوله:

عميتُ جنيناً والذكاء من العمى

فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وغاض ضياء العين للعلم وافداً

لقلب إذا ما ضيَّع الناس حصَّلا

وشعرٍ كنور الأرض لاءمت بينه

بقولٍ إذا ما أحزن الشعر أسهلا

قال الجاحظ عنه: كان بشار شاعراً خطيباً صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفتّنين في الشعر، القائلين في أكثر أجناسه وضروبه، وقد قال الشعر في حياة جرير وتعرض له، وحكي عنه أنه قال: هجوتُ جريراً فأعرض عني، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس.

كان بشار معدوداً في الشعراء الهجائيين، فكانت تدور بينه وبين كثير من الشعراء النقائض والمهاجاة، حتى استطال في عرض كثير منهم.

لقد اتفق كل من ترجم لبشار بأنه كان من زنادقة الشعراء، وأنه نقلت عنه الأخبار الشنيعة في إعراضه عن الشريعة وتنكبه طريق الهدى.

فمن ذلك: أنه كان يصوب رأي إبليس في تقديم وتفضيل النار على الطين، وذكر ذلك في شعره بقوله:

إبليس خير من أبيكم آدم
فتنبهوا يا معشر الفجار

إبليس من نار وآدم طينة
والأرض لا تسمو سموّ النار

الأرض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة مذ كانت النار

وهذا دليل على قلة دينه وسفه رأيه وعقله، أما قلة دينه فبتطاوله على أبي البشر -عليه السلام-، وأما سفاهة عقله فلتفضيله النار على الطين، مع أن العكس هو الصحيح ؛ كما بين ذلك العلماء والمفسرون تعليقاً على إبليس اللعين ﴿ **أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ فليراجع.

ومن الدلائل على رقة دينه أيضاً، أنه قال مرةً:

قـاس الهـمـوم تـنل بهـا نُجُـحـا
والـلـيـل إن وراءه صُـبُـحـا

لا يؤيسنَّك من مـخـبـأةٍ
قـولٌ تغلظه وإن جَـرَحَـا

عُـسـر النسـاء إلى مـيـاسـرةٍ
والصعبُ يُمكن بعد ما جَمَحَا

فسمع المهدي بهذا الشعر، فغضب عليه، فاستقدمه، فلما مثل بين يديه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، وكان المهدي غيوراً فغضب وقال: تلك أمك يا عاض كذا من أمه، أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبّآت ؟! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتينّ على روحك.

فقال بشار في ذلك:

والله لولا رضـا الخليـفـة مـا
أعطيتُ ضيماً عليّ في شجنِ

وربـمـا خـيـر لابن آدم في الكـ
ـره وشق الهـوى على البـدنِ

فـاشـرب على ابنة الزمـان فـمـا
تلقى زمـانـاً صـفـا من الأُبَنِ[١]

---

(١) الأُبن : جمع أبنة : وهي العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر.

الله يُعطيك من فواضله
والمرء يُغض عيناً على الكمنِ[١]

قد عشتُ بين الريحان والراح والمـ
ـزهر في ظل مجلس حسنِ[٢]

وقد ملأت البلاد ما بين فغـ
ـفور إلى القيروان فاليمن[٣]

ومن مخازي هذا الزنديق: أنه كان يتبع مذهب فرقة من الرافضة يقال لهم (الكاهلية) يزعمون أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وكفر علي -رضي الله عنه- بتركه قتالهم !!، فقيل لبشار: ما تقول في الصحابة ؟ !

فقال: كفروا !

قيل له: فما تقول في علي بن أبي طالب؟!

قال:

وما شر الثلاثة أم عمرٍ
بصاحبك الذي لا تصحبينا

❀ ❀ ❀

(١) الكُمَن: جمع كمنة، وهي جرب وحمرة تبقى في العين من رمد يساء علاجه.
(٢) المزهر: العود الذي يضرب به للهو.
(٣) فغفور على وزن عصفور : لقب كل من ملك الصين، وقيل : بلد بالصين.

مقتلـه

كـان بشـار يذهب إلى مـجلس يعـقـوب بن داود وزير المهـدي فـيـمـدحـه لعله يحظى عنده بشـيء من المال، ولكن الوزير لم يكن يعطيـه مـا تمنى، فمـر يعـقـوب بن داود يومـاً ببـشـار يريد منـزله، فصاح به بشار:

طال الثواء على رسوم المنـزلِ[1]

فقال يعقوب:

فإذا تشاءُ أبا معاذٍ فارحلِ!

وقال بشار له مرةً:

يعـقـوب قـد ورد العـفـاة عـشـيـةً

مـتـعـرضين لسـيـبك المنتـاب[2]

فـسقـيـتـهم وحـسـبـتني كـمـونـةً

نبـتـت لزارعـهـا بـغـيـر شـراب

مــهــلاً لديك فــإنني ريحـانـةٌ

فـاشـمم بأنفك واسـقني بذناب[3]

---

(١) الثواء : المقام ؛ أي طال وقوفي ببابك.

(٢) المنتاب: الذي يأتي مرة بعد أخرى.

(٣) ذناب: جمع ذنوب وهو الدلو الملأى.

طال الثـواء على تنظُّر حـاجـةٍ

شمطت لديك فمن لها بخضاب[١]

تعطي العـزيرة درّها فـإذا أبت

كانت ملامـتها على الحُلاّب[٢]

أي أنك من المهدي بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يوصل إلى درها فليس ذلك من قبلها، إنما هو من منع الحالب منها.

فلم يعطف عليه يعقوب ولم يُعطه.

عندها انصرف بشار إلى البصرة مغضباً، وهجا يعقوب بقصائد موجعة كان من أشنعها قوله فيه:

بني أمـيـة هبـوا طـال نومكم

إن الخليـفـة يعـقـوب بن داودِ

ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا

خليـفـة الله بين الزِقّ والعـودِ

وقال يهجو صالح بن داود أخو يعقوب لما ولي:

همُ حملوا فوق المنابر صالحاً

أخاك فضجت من أخيك المنابرُ

---

(١) شمطت: تأخر قضاؤها وطال عليها الأمد.

(٢) العزيرة : الكثيرة الدرّ.

فلما قدم المهدي البصرة أعطى عطايا كثيرة، ووصل الشعراء، وذلك كله على يدي يعقوب بن داود، فلم يُعط بشاراً شيئاً من ذلك.

فجاء بشار إلى حلقة يونس النحوي فقال: هل هنا من يُحْتشم؟! فقالوا له: لا، فأنشأ بيتاً يهجو فيه المهدي - سيأتي ذكره إن شاء الله -، فطار بالبيت أحد الجالسين إلى يعقوب بن داود وأبلغه إياه، وكان الوزير قد بلغته أهاجي بشار له، فوجدها فرصة لا تُفوَّت في الانتقام من بشار والسعي في قتله.

فانطلق يعقوب من فوره ودخل على المهدي قائلاً:

يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاك!

فقال المهدي: بأي شيء؟!

فقال: بما لا ينطق به لساني، ولا يتوهمه فكري.

فاستحلفه المهدي أن يقول له ما هجاه به بشار.

فقال: أما لفظاً فلا، ولكني أكتب ذلك.

فكتبه ودفعه إلى المهدي، وهو قول بشار:

خليفةٌ يزني بعماته

يلعب بالدبُّوق والصولجان[١]

---

(١) لعبة يلعبها الصبيان كالكرة بالصولجان.

أبـدلـنـا الـلـه بـه غـــيـــره
ودسَّ مـوسـى فـي حـرِ الخـيـزران[1]

فكاد المهدي ينشق غيضاً، وعمد إلى الذهاب إلى البصرة للنظر في أمرها، وما همه غير بشار، فلما بلغ البطيحة[2] سمع أذاناً في وقت النهار، فقال: انظروا ما هذا الأذان؟! فإذا بشار يؤذن سكران!!

فقال له: يا زنديق، عجبتُ أن يكون هذا غيرك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران؟!

فأمر به فضرب بالعصي - وقيل بالسيف - حتى مات، وألقى بجثته في البطيحة، ثم جاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة، فدفن بها.

ومن العجائب أنه لما مات ونعي إلى أهل البصرة تباشر عامتهم وهنّأ بعضهم بعضاً وحمدوا الله وتصدقوا، لما كانوا به من لسانه.

وقال أبو هشام الباهلي في قتل بشار:

يـابـؤس مـــيـتٍ لـم يـبـكـه أحـد
أجل ولـم يـفـتـقـده مـفـتـقـدُ

---

(١) الخيزران: جارية من جواري المهدي ، وهي أم ولديه موسى وهارون.
(٢) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

لا أم أولاده بكته ولم
يبك عليه لفرقةٍ ولدُ

ولا ابن أختٍ بكى ولا ابن أخٍ
ولا حميم رقت له كبدُ

بل زعموا أن أهله فرحاً
لما أتاهم نعيه سجدوا

وقال أيضاً في ذلك:

قد تبع الأعمى قفا عجردٍ
فأصبحا جارين في دارِ

قالت بقاعُ الأرض لا مرحباً
بروح حمادٍ وبشارِ

تجاورا بعد تنائيهما
ما أبغض الجار إلى الجار

صارا جميعاً في يدي مالكٍ
في النار والكافر في النار

ونحن لا نوافق الشاعر على حكمه بالنار على معين ؛ إلا من حكم عليه الله تعالى أو رسوله ﷺ. والله أعلم.

ومن أجود وأجمل شعر بشار بن برد قصيدته السائرة المشهورة في مدح مروّان بن محمد بن مروان إذ يقول:

جـفـا ودُّه فـازورَّ أو ملَّ صـاحـبُـه

وأزرى بـه أن لا يـزالَ يُعـاتبُـه

خليليَّ لا تستنكرا لوعةَ الهوى

ولا سلوةَ المحـزونِ شطتْ حبائبُه

شفى النفسَ ما تلقى بعبدةَ عينُهُ

ومـا كـانَ يلقى قلبُـهُ وطبـائبُـه

إذا كـانَ ذوّاقاً أخـوك من الهـوى

مـوجـهـةً في كلٍّ أوبٍ ركـائبُـه

فـخلِّ له وجـهَ الفـراقِ ولا تكنْ

مطيَّـةَ رحَّـالٍ كـثيـرٍ مـذاهبُـه

أخـوكَ الذي إن ربتَـه قـالَ إنما

أريتُ وإن عـاتبـتَـهُ لانَ جـانبُـه

إذا كنتَ في كلِّ الذُّنوبِ مُـعـاتبـاً

صديقكَ لم تلقَ الذي لا تُعـاتبُه

فعشْ واحداً أو صلْ أخـاكَ فإنهُ

مُـفـارقُ ذَنبٍ مـرةً ومـجـانبُـهْ

إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القَذى

ظمئتَ، وأيُّ الناسِ تصفو مشاربُه؟

ولـيلٍ دَجـوجيٍّ تـنـامُ بـنـاتُـهُ

وأبـنـاؤه مـنْ هـولـه وربـائبُـه

حَميتُ به عيني وعين مطيَّتي
لذيذَ الكرى حتى تجلتْ عصائبُهْ

وماءٍ ترى ريشَ الغَطاط بجوِّهِ
خفيٍّ الجبا ما إن تبينُ نصائبُهْ

قريبٍ من التغويرِ ناءٍ عن القُرى
سقاني به مستعملُ الليلِ دائبُهْ

حليفُ السُّرى لا يلتوي بمفازةٍ
نساهُ ولا تعتلُّ منها حوالبُه

أمقُّ غريريٌّ كأنَّ قتوده
على مثلثٍ يَدمى من الحُقبِ حاجبُه

غيورٍ على أصحابه لا يرومُه
خليطٌ ولا يرجو سواهُ صواحبُهْ

إذا ما رعى سنين حاول مسحلاً
يجدُّ به تعذامُهُ ويلاعبُهْ

أقبَّ نفى أبناءَه عن بناتِهِ
بذي الرَّضمِ حتى ما تُحسُّ تَوالبُهْ

رعى ورعَينَ الرَّطبَ تسعينَ ليلةً
على أبقٍ والروضُ تجري مذانبُهْ

فلمّا تولّى الحَرُّ واعتصر الثَّرى
لظى الصيفِ من نجمٍ توقَّدَ لاهبُهْ

وطارتْ عصافيرُ الشقائقِ واكتسى
من الآلِ أمثالَ المُلاءِ مساربُهْ

وصدَّ عن الشَّولِ القريعُ وأقفرَتْ
ذُرى الصَّمدِ مما استودعتْهُ مواهبُهْ

ولاذَ المَها بالظِّلِّ واستوفضَ السَّفا
منَ الصَّيفِ نآجٌ تخُبُّ مواكبُهْ

غدتْ عانة تشكو بأبصارِها الصَّدى
إلى الجأبِ لا أنها لا تُخاطبُهْ

وظلَّ على علياءَ يَقسمُ أمرَهُ
أيمضي لوردٍ باكرٍ أم يؤاوبُهْ

فلما بدا وجهُ الزماعِ وراعه
من الليلِ وجهٌ يمَّمَ الماءَ قاربُهْ

فباتَ وقد أخفى الظلامُ شُخوصَها
يُناهبُها أمَّ الهُدى وتناهبُهْ

إذا رقصَتْ في مهمهِ الليل ضمَّها
إلى نهجٍ مثل المجرةِ لاحبُهْ

إلى أن أصابتْ في الغطاطِ شريعةً
من الماءِ بالأهوالِ حُفَّتْ جوانبُهْ

لها صخبُ المستوفضاتِ على الولى
كما صخبتْ في يومِ قيظٍ جنادبُهْ

فأقبلَها عرضَ السريَّ وعينُهُ
تَرودُ وفي الناموسِ منْ هوَ راقِبُهْ

أخو صيغةٍ زوقٍ وصفراءَ سمحةٍ
يُجاذبُها مستحصدٌ وتُجاذبُهْ

إذا رزمت أنَّتْ وأنَّ لها الصدى
أنينَ المريضِ للمريضِ يجاوبُهْ

كأنَّ الغنى آلى يميناً غليظةً
عليه خلا ما قرّبت لا يقاربُهْ

يؤولُ إلى أمٍّ ابنتين يؤودُهُ
إذا ما أتاها مخفقاً أو تُصاخبُهْ

فلمَّا تدلَّى في السَّريِّ وغرَّهُ
غليلُ الحَشا منْ قانصٍ لا يواثِبُهْ

رمى فأمرَّ السهمَ يمسحُ بطنهُ
ولبّاتِهِ فانصاعَ والموتُ كاربُهْ

ووافقَ أحجاراً رَدَعنَ نضيَّهُ
فأصبحَ منها عامداهُ وشاخبُهْ

يخافُ المنايا إن تَرَحَّلتُ صاحبي
كأنَّ المنايا في المقامِ تُناسبُهُ

فقلتُ له: إنَّ العراقَ مُقامُهُ
وخيمٌ إذا هبَّتْ عليك جَنائبُهْ

لعلك تستدني بسيرك في الدُّجى
أخا ثقةٍ تُجدي عليك مناقبُهْ

من الحيِّ قيس قيس عيلانَ إنّهم
عيونُ الندى منهم تُرَوَّى سحائبُهْ

إذا المُجحدُ المحرومُ ضمَّت حبالَه
حبائلُهم سيقَتْ إليه رغائبُهْ

ويومِ عبوريٍّ طغا أو طغا به
لظاهُ فما يروى من الماءِ شاربُهْ

رفعتُ به رَحلي على متخطرفٍ
يزفُّ وقد أوفى على الجذلِ راكبُهْ

وأغبرَ رقاصِ الشُّخوصِ مضلةٍ
مواردُهُ مجهولةٌ وسباسبُهْ

لألقى بني عيلانَ، إنّ فعالهُم
تزيدُ على كلِّ الفعالِ مراتبُهْ

أُلاكَ الأُلى شقُّوا العمى بسيوفِهم
عن الغيِّ حتى أبصرَ الحقَّ طالبُهْ

إذا ركبوا بالمشرفيَّة والقنا
وأصبحَ مروانٌ تعدُّ مواكبُهْ

فأيُّ امرئٍ عاصٍ وأيُّ قبيلةٍ
وأرعنَ لا تبكي عليه قرائبُهْ

وسـامٍ لمروانٍ ومنْ دونه الشَّـجـا
وهولٌ كلُجِّ البحرِ جاشتْ غواربُهُ

أحلَّتْ بـه أُمُّ المنايا بناتِهـا
بأسـيافِنا، إنّا رَدى منْ نُحاربُهْ

ومـا زالَ منا مُـمسِكٌ بمدينةٍ
يُراقبُ أو ثغرٍ تخافُ مرازبُهْ

إذا الملكُ الجبَّارُ صَعَّرَ خدَّهُ
مشينا إليه بالسيوفِ نُعاتبُهْ

فراحوا فريقاً في الإسارِ ومثلُهُ
قتيلٌ ومثلٌ لاذَ بالبحرِ هاربُهْ

وأرعنَ يَغشى الشمسَ لونُ حديدِهِ
وتخلسُ أبصارَ الكُماةِ كتائبُهْ

تَغَصُّ به الأرضُ الفَضاءُ إذا غدا
تُزاحِمُ أركانَ الجبالِ مناكبُهْ

كأنّ جناباويه منْ حمسِ الوغى
شمامٌ وسلمى أو أجا وكواكبُهْ

تركنا به كلباً وقحطانَ تبتغي
مُجيراً من القتلِ المُطلِّ مقانبُهْ

أباحت دمشقاً خيلُنا حين أُلجِمَتْ
وآبت بها مغرورَ حمصٍ نوائبُهْ

وнالت فلسطيناً فعـرَّدَ جمعُها
عن العارضِ المستنِّ بالموتِ حاصبُهْ

وقد نزلتْ منّا بتدمرَ نوبةٌ
كذاك عُروضُ الشرِّ تعرو نوائبُهْ

تعودُ بنفسٍ لا تزلُّ عن الهُدى
كما زاغ عنه ثابتٌ وأقاربُهْ

دعا ابن سماكٍ للغواية ثابتٌ
جهاراً ولم تُرشدْ بنيه تجاربُهْ

وادى سعيداً فاستصبَّ من الشقّا
ذنوباً كما صُبَّت عليه ذنائبُه

ومنْ عجبٍ سعيُ ابنِ أغنمَ فيهمُ
وعثمانَ، إنّ الدهرَ جَمٌّ عجائبُهْ

وما منهما إلا وطارَ بشخصِهِ
نجيبٌ وطارتْ للكلابِ رَواجبُهْ

أمرنا بهم صدرَ النهارِ فصُلِّبوا
وأمسى حميدٌ يَنحتُ الجذعَ صالبُهْ

وناطَ ابن رَوحٍ للجماعةِ إنّه
زأرنا إليه فاقشعرتْ ذوائبُهْ

وبالكوفةِ الحُبلى جَلَبْنا بخيلنا
عليهمْ رعيلَ الموتِ إنّا جوالبُه

أقــمْنا على هذا وذاكَ نســاءَهُ
مــآتِمَ تدعــو للبُكا فــتُــجــاوبُهْ

أيامى وزوجــاتٍ كــأنَّ نهــاءها
على الحُـــزنِ آرامُ المَلا وربَاربُهْ

بكين على مــثلِ السِّنانِ أصــابَهُ
حــمــامٌ بأيدينا فــهنَّ نوادبُهْ

فلمّا اشتفينا بالخليفةِ منهمو
وصــالَ بنا حــتى تقضَّت مــآربُهْ

دلفنا إلى الضَّحاكِ نصرفُ بالرَّدى
ومروانُ تدمى من جُذامَ مخالبُهْ

مُعدِّين ضرغاماً وأسودَ سالخاً
حُتوفاً لمن دَبَّت إلينا عقاربُهْ

وما أصبحَ الضَّحاكُ إلا كثابتٍ
عصــانا فــأرسَلْنا المنيَّــةَ تادبُهْ



مقتل

وضّاح اليمن

ترجمته[1]

قال الدكتور محمد خير البقاعي: «هو عبد الرحمن (أو عبدالله) بن إسماعيل بن عبد كُلال. ذكر أبو عبيدة، وابن الكلبي وغيرهما أنه من أصل فارسي، أو أنه من أصل يمني (من آل خولان، الأغاني ٦/٢٢٢) ومن المحتمل أن وضاحاً اسمه الحقيقي، وإن عُدّ بصفة عامة لقباً له، وذلك لجماله وبهائه».

---

(١) انظر ترجمته في : كتاب المغتالين لابن حبيب (نوادر المخطوطات) ٢/٢٧٣؛ والأغاني (ط. دار الكتب العلمية - بيروت) (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) الجزء ٦ ص٢٢٢-٢٥٥، وفوات الوفيات للكتبي (ط.عباس) ٢/٢٧٢-٢٧٣، وتهذيب ابن عساكر ٢٩٥:٧، والنجوم الزاهرة ١/٢٢٦، وتاريخ دمشق (عبادة بن أوفى -عبدالله بن ثوب) وسنرمز له بـ ع٢/٣٨٠/٣٨٧ . وانظر: سمط اللآلي، الذيل ٤٨ . وانظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (ط. دار البشائر-دمشق) تحقيق إبراهيم صالح، ط. ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ج١،ص ٢٠٦-٢٠٨ . وانظر وفيات الأعيان ٢/٤٥، واسمه في الأغاني وفوات الوفيات (عبدالرحمن) انظر فوات الوفيات (ط.عباس) ٤/٢٥٥ . وانظر: الحماسة، شرح التبريزي ٢/١٩٢ .
ومن الدراسات الحديثة: طه حسين في حديث الأربعاء ١/٢٣٢-٢٣٩ (ط. ١٢، دار المعارف)، وبروكلمان في الملحق (بالألمانية) ٨٢-٨٣، وسوزكين، تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) مج ٢، الجزء الثالث، ١٩٠-١٩١ وكتب عنه بلاشير في تاريخ الأدب العربي (بالفرنسية)، ٦٥١-٦٥٣، والترجمة العربية (ط١٩٨٤) ٧٧٤-٧٧٦ . وكتاب "مأساة الشاعر وضاح" لأحمد حسن الزيات ومحمد بهجة الأثري، مطبعة العهد، بغداد ١٩٣٥ ومقدمة الدكتور حنا حداد في المورد -العدد الثاني، مج١٣، ١٩٨٤، والأعلام ٤/٦٩، وكتاب: وضاح اليمن الشاعر وقصته، دراسة تحليلية ونقدية أدبية للدكتور رضا الحبيب السويسي ومنشورات جامعة طرابلس -كلية التربية- أشرف على طبع الكتاب مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م. (استفدت الترجمة ومصادرها وحواشيها من مقدمة الدكتور: محمد خير البقاعي لديوان وضاح اليمن، بتصرف يسير) .

قال ابن شاكر الكتبي في الوافي (٢/٢٧٢): «وكان من حسنه يتقنع في المواسم مخافة العين..».

وروى صاحب الأغاني قصة في نشأة هذا اللقب وغلبته على اسم الشاعر فقال: «كان وضاح اليمن من أجمل العرب، وكان أبوه إسماعيل بن داذ بن أبي جمد من آل خولان بن عمرو ابن معاوية الحميري، مات أبوه وهو طفل، فانتقلت أمه إلى أهلها وانقضت عدتها فتزوجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس، وشبّ وضاح في حجر زوج أمه، فجاء عمّه وجدّته أم أبيه، ومعهم جماعة من أهل بيته من حمير من آل ذي فيقان، ثم من آل جدن فادعى زوج أمه أنه ولده، فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة على أنه ولد على فراش إسماعيل بن عبد كلال أبيه فحكم به الحاكم لهم.

وقد كان اجتمع الحميريون والأبناء[١] في أمره وحضر معهم، فلما حكم به الحاكم للحميريين مسح يده على رأسه وأعجبه

---

(١) الأبناء هم أولاد الفرس الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة فنصروه وملكوا اليمن وتديّروها وتزوجوا في العرب فقيل لأولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم. انظر اللسان (بني) . وقيل إنهم قدموا مع وهرز الفارسي (Parviz) وقد تصحفت الأبناء في النجوم الزاهرة إلى الأنبار فليعلم. وكانوا يسمون بصنعاء بني الأحرار، وبالكوفة الأحامرة، وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الحضارمة، وبالشام الجراجمة: انظر حاشية الأغاني ٦/٢٢٣ (البقاعي)

جماله وقال له: «اذهب فأنت وضاح اليمن لا من أتباع ذي يزن»، فعلقت به هذه الكلمة منذ يومئذٍ فلُقب وضاح اليمن[١].

وقد وقف القائلون إنه من أبناء الفرس بنسبه عند جده الرابع لم يتجاوزوه؛ فقالوا: إنه عبدالله (أو عبدالرحمن) بن إسماعيل بن عبد كلال بن داذ (أو داود) بن أبي جمد. (انظر الأغاني ٢٢٢/٦).

أما من قالوا: إنه من أصل حميري فقد ذكروا سلسلة نسبه كاملة فهو: عبدالله (أو عبدالرحمن) بن إسماعيل بن عبد كلال بن داذ (أو داود) بن جمد من آل خولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج - وهو حمير - بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأورد ابن عساكر في تاريخ دمشق نسبه كالتالي:

«عبدالله بن إسماعيل بن عبد كلال المعروف بوضاح اليمن؛ من أهل صنعاء من الأبناء. ويقال: عبدالرحمن بن إسماعيل بن عبدكلال بن داد بن أبي جمد بن آل خولان. لقب بوضاح اليمن لجماله. قيل: إنه قدم دمشق على الوليد بن عبدالملك فأحسن رفده».

---

(١) انظر الأغاني ٢٢٢/٦-٢٢٣ . وفي حاشيته: أن الأذواء في اليمن طبقتان: طبقة تعرف بالمثامنة، وهم ثمانية ملوك كان لا يصح من ملوك حمير الملك حتى يقيمه هؤلاء الثمانية، وإن هم اجتمعوا على عزله عزلوه. والطبقة الثانية أذواء آخرون، منهم ذو فيقان المذكور في الخبر، وهو ابن شرحبيل بن أساس بن يغوث بن علقمة بن ذي جدن الأكبر... (البقاعي).

ويرى الدكتور طه حسين أن قصة صاحب الأغاني عن سبب تلقيبه بوضاح مختلقة من أساسها، متكلفة، صنعها الرواة لكي يبرروا هذا اللقب، ولكي يثبتوا الوجود التاريخي لهذا الشاعر[1].

هذا ما قاله كل من كتب عن الوضاح، ولكن الشيء الذي لم يتنبه لوجوده الدارسون هو ما جاء في تاج العروس (ط. الكويت) (وضح) (٢١٣/٧) يقول المرتضى الزبيدي: «والوضاح (مولى بَرْبري لبني أميّة) قال ذلك السكري في قول جرير:

لقد جاهد الوضاح بالحق معلماً
فأورث مجداً باقياً آل بربرا

كان شاعراً، وهو المعروف بوضاح اليمن، وكانت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان تحت الوليد بن عبد الملك، وكانت تحب الوضاح.

وفي المضاف والمنسوب للثعالبي: قال الجاحظ: قتل بسبب الفسق ثلاثة من العبيد: وضاح اليمن، ويسار الكواعب، وعبد بني الحسحاس. وإليه نسبت الوضاحية.

وجديد هذا النص أمران: أولهما قوله إن وضاحاً بربريّ، وقال محمد بن حبيب في شرح ديوان جرير ٤٧٣/١ (ط. دار المعارف) في تعليقه على بيت جرير: «الوضاح: مولى لبني أمية

(١) انظر حديث الأربعاء، ص٢٣٤ .

صاحب الوضاحية وكان بربرياً». ويقول ياقوت في معجم البلدان (الوضاحية) (٣٧٨/٥): «قرية منسوبة إلى بني وضاح مولى لبني أمية، وكان بربرياً، قال ذلك السكري في قول جرير:... البيت. فهو بربري إذن وليس من اليمن. وثانيهما أنه صاحب قرية».

وكان وضاح اليمن في أول عهده يمدح الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموي، ومن ذلك قوله فيه:

صبا قلبي ومال إليك ميلاً
وأرقني خيالك يا أثيلا[(١)]

يمانية تُلِم بنا فتبدي
دقيق محاسنٍ وتُكِنُّ غيلا[(٢)]

دعينا ما أممت بنات[(٣)] **نعش**
من الطيف الذي ينتاب ليلا

ولكن إن أردت فصبحينا
إذا أمَّتْ ركائبُنا سُهَيلا[(٤)]

فإنك لو رأيت الخيل تعدو
سراعاً يتخذن النقع ذيلا

---

(١) أثيل : ترخيم أثيلة، اسم امرأة.
(٢) المغيل : الساعد الريان الممتلئ.
(٣) بنات نعش : من الكواكب اليمانية.
(٤) يريد إذا اتجهت ركائبنا نحو اليمن.

إذاً لرأيت فوق الخيل أسداً
تفيد مغانماً وتقيت نيلا

إذا سار الوليد بنا وسرنا
إلى خيل نلف بهن خيلا

وندخل بالسرور ديار قوم
ونُعقب آخرين أذى وويلا

فأحسن الوليد رفده، وأجزل صلته، فمدحه وضاح بعدة قصائد أخرى؛ منها قوله:

ما بال عينك لا تنام كأنما
طلب الطبيب بها قذى فأضله

بل ما لقلبك لا يزال كأنه
نشَوانُ أنهله النديم وعلَّه

ما كنت أحسب أن أبيت ببلدةٍ
وأخي بأخرى لا أحل محلَّه

كنا لعمرك ناعمين بغبطةٍ
مع ما نحب مبيته ومظلَّه

فأرى الذي كنا وكان بغرة
نلهو بغرته ونهوى دلَّه

كالطيف وافق ذا هوى فلها به
حتى إذا ذهب الرقاد أضلَّه

قل للذي شغف البلاءُ فؤادَه

لا تهلكن أخاً فرب أخ له

والق ابن مروان الذي قد هزه

عرق المكارم والندى فأقلَّه

واشكُ الذي لاقيته من دونه

وانشر إليه داء قلبك كلَّه

فعلى ابن مروان السلام من امرئ

أمسى يذوق من الرقاد أقلَّه

شوقاً إليك فما تنالك حالُه

وإذا يحل الباب لم يؤذن له

فإليك أعملت المطايا ضُمَّراً

وقطعت أرواح الشتاء وظلَّه

وليالياً لو أن حاضر بثها

طرف القضيب أصابه لأشلَّه

كان وضاح اليمن شاعراً مطبوعاً، جيد الشعر حسنه، تميز في الشعر الغزلي الرقيق ومن ذلك قوله:

حيٍّ التي أقصى فؤادِك حلَّتِ

علمت بأنك عاشق فأدلتِ

وإذا رأتك تقلقلت أحشاؤها

شوقاً إليك فأكثرت وأقلتِ

وإذا دخلت فـــأُغلِقـتْ أبوابُهـا

عـزم الغـيـورُ حـجـابهَـا فاعـتلّتِ

وإذا خـرجـتَ بكتْ عليك صبـابة

حـتى تَبُلّ دمـوعُـهـا مـا بلـتِ

إن كنت يـا وضـاح زرت فـمـرحـبـاً

رَحُـــبَتْ عـليك بـلادنا وأظلّـتِ





مقتله

كعادة معظم الشعراء -إلا من رحم ربي- ممن يتهورون في قصائدهم ويرتقون مراقي صعبة لا قبل لهم بها؛ إما بهجاء فاحش، أو تغزل لمن لا يحل لهم، فكذلك صنع وضاح اليمن، وتدرج به غزله وتشبيبه بالنساء إلى أن طال به زوجة الخليفة الوليد بن عبدالملك (أم البنين)، فقد نظم فيها الأشعار الكثيرة مدعياً حبها، ومن ذلك قوله لما سافرت:

صدع البينُ والتفرقُ قلبي
وتولَّت أمُ البنين بلُبِّي

ثوتِ النفسُ في الحُمول لديها
وتولى بالجسم مني صحبي

ولقد قلت والمدامع تجري
بدموع كأنها فيض غربِ

جزعاً للفراق يوم تولت:
حسبي الله ذو المعارج حسبي

وقال فيها لما مرضت:

حتّام نكتم حزننا حتاما
وعلام نستبقي الدموع علاما

إن الذي بي قد تفاقم واعتلى
ونما وزاد وأورث الأسقاما

قد أصبحت أم البنين مريضة
نخشى ونُشفق أن يكون حماما

يا رب أمتعني بطول بقائها
واجبر بها الأرمال والأيتاما

واجبر بها الرجل الغريب بأرضها
قد فارق الأخوال والأعماما

كم راغبين وراهبين وبؤَّسٍ
عُصموا بقرب جنابها إعصاماً

بجناب ظاهرة الثنا محمودةٍ
لا يستطاع كلامها إعظاما

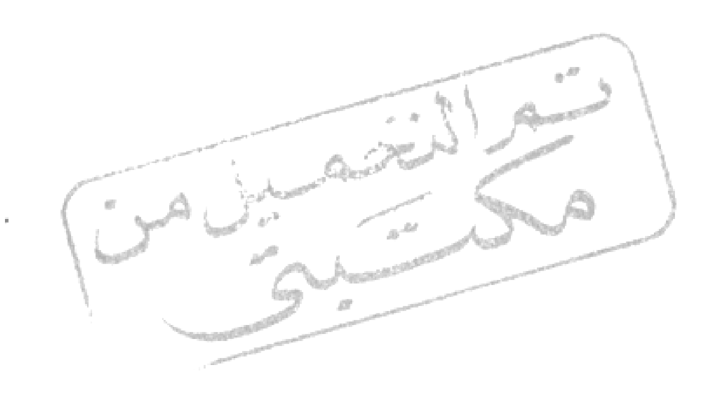
فلما سمع الوليد بن عبدالملك بعض شعر وضاح اليمن في زوجته (أم البنين) همّ بقتله، فقال له ابنه عبدالعزيز: لا تفعل يا أمير المؤمنين فتُحقق قوله[1] ولكن افعل كما فعل معاوية بأبي دهبل؛ فإنه شبب بابنته فشكاه يزيدُ ابنُه وسأله أن يقتل أبا دهبل، فقال معاوية: إذاً تُحقق قوله، ولكن نبرُّه ونُحسن إليه، فيستحي ويكف ويُكذّب نفسه.

---

(١) أي إنك إن قتلته قال الناس: لم يقتله الخليفة إلا لاطلاعه على أمر سوء بينه وبين زوجه، وهذا من دهاء وحكمة عبدالعزيز .

ولكن الوليد -رغم هذا- لم يقبل من ابنه، وإنما أمر بطلب وضاح اليمن، فلما قدم عليه أمر جنوده أن يجعلوه في صندوق ويدفنوه حياً !! والله أعلم[١].





(١) دارت بين الأديب أحمد الزيات والشيخ محمد بهجة الأثري مطارحة علمية (طبعت في كتاب باسم مأساة الشاعر وضاح) حول ثبوت هذه القصة؛ فالزيات يثبتها، والأثري ينفيها، ولكل حجته وسنده ، وكتابنا ليس موضع تحقيق لهذا الأمر، فمن أراد الاطلاع على أدلة الرجلين فعليه بمقدمة ديوان وضاح اليمن للدكتور البقاعي -وفقه الله- .

مقتل

السُليك بن السُلَكة

ترجمته(١)

هو السُليك بن عمرو بن يثربي أحد بني مقاعس، ويعود نسبه إلى سعد مناة بن تميم.

والسُلكة أمه، وهي أَمَةٌ سوداء أخذ عنها سواده، وهو أحد صعاليك العرب، وظاهرة التصعلك ظاهرةٌ عرفها المجتمع الجاهلي، قام بها أفراد احتقرهم المجتمع القبلي فعاشوا على هامشه، لكنهم استطاعوا أن يجعلوا من حياتهم أسطورة يتناقلها الناس، لأجل مغامراتهم وتشردهم في الصحراء وبين البلدان.

فكان السُليك واحداً من هؤلاء الصعاليك، وكان مشهوراً من بينهم بأنه عدَّاء لا يشق له غبار، حتى ضُرب المثل به، فقيل: أعدى من السليك .

وعرف السُليك أيضاً بفتكه، وفي سيرته أكثر من قصة تدل على ذلك، منها مثلاً: أنه خرج يوماً ومعه رجلان من بني الحارث ابن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لهما: عمرو وعاصم، وهو يريد الغارة، فمر على حي بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر، فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت، وقد أمسى، فقال لأصحابه: كونوا بمكان كذا حتى آتي

---

(١) انظر ترجمته موسعة في: الشعر والشعراء (ص٢١٥)، والأغاني (٢٠/٣٤٦)، ومقدمة ديوان الشنفرى والسليك بن السلكة للأستاذ طلال حرب.

أهل هذا البيت، فلعلي أصيب لكم خيراً أو آتيكم بطعام، قالوا: نعم فافعل.

فانطلق وقد أمسى وجنّ عليه الليل فإذا البيت بيت رُويم، وهو جد حوشب بن يزيد بن رويم، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت، فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله، فلم يلبث أن أراح ابنُه بإبله، فلما أراحها غضب الشيخ وقال لابنه: هلا كنت عشيتها ساعة من الليل؟ .

فقال له ابنه: إنها أبت العشاء.

فقال: "العاشية تهيج الآبية" فأرسلها مثلاً.

ثم غضب الشيخ ونفض ثوبه في وجهها، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ، حتى مالت بأدنى روضة فرتعت، وجلس الشيخ عندها لتتعشى، وغطى وجهه بثوبه من البرد، وتبعه سليك، فلما وجد الشيخ مفتراً ختله من ورائه فضربه فأطار رأسه، وصاح بالإبل فطردها، فلم يشعر صاحباه وقد ساء ظنهما وتخوفا عليه، حتى إذا هما بالسليك يطردها، فطرداها معه، وقال سليك في ذلك:

وعاشيةٍ راحت بطاناً ذعرتها

بسوط قتيل وسطها يتسيف[1]

---

(١) يتسيف: من تسيفه؛ ضربه بالسيف.

كـأن عليـه لون برد مـحـبـر
إذا مـا أتاه صـارم يتلـهف
فـبـات لـه أهلٌ خـلاء فناؤهم
ومـرت بهم طيـرٌ فلم يتـعـيفـوا
وباتوا يظنون الظنون وصحبتي
إذا مـا علواْ نشـزاً أهلوا وأوجـفـوا
ومـا نلتهـا حتى تصعلكتُ حقبـة
وكـدت لأسـبـاب المنيـة أُعـرف
وحـتى رأيت الجوع بالصيف ضرني
إذا قمت تغشاني ظلال فـأسدف[١]

ومن مـغـامـراته -أيضـاً- أن طـلائع من بكر بن وائل أرادت الإغـارة على بني تميم قـوم السُليك، فـقـالوا: إن علم بنا السُليك أنذر قـومـه، فـبـعـثـوا له فـارسين ليقـتـلاه، فلما أحـاطا به انطلق يمحص[٢] كـأنـه ظبي، فطارداه طوال اليـوم وقـالا: إذا كـان الليل أعياه ثم سقط أو قصَّر عن العدو فنأخذه .

فلمـا أصبحـا وجدا أثره قـد عـثر بأصل شجـرة فنـزا عنهـا وندرت[٣] قوسه فـانحطمت، فـوجدا رقصْدةً[٤] منهـا قـد ارتزت[٥]

---

(١) أسدف يسدف: أظلمت عيناه.
(٢) أي يُسرع.
(٣) أي سقطت .
(٤) أي قطعة.
(٥) أي أثبتت.

بالأرض. فقالا: ما له أخزاه الله! ما أشده! وهما بالرجوع، ثم قالا: لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر، فتبعاه، فإذا أثره متفاجاً قد بال في الأرض يخدها، فقالا: ماله، قاتله الله! ما أشد متنه، والله لا نتبعه أبداً، فانصرفا.





مقتلـه

كانت نهاية السليك بن السُلكة في مغامرة من مغامراته التي اشتهر بها، وبعد أن قال قصيدة أثارت عليه الأعداء.

فقد خرج السليك يوماً يتصعلك، فلقي رجلاً من خثعم في أرض يقال لها (قمة) بين أرض عقيل وسعد تميم، وكان يقال للرجل (مالك بن عمرو بن أبي ذراع بن جثم بن عوف)، وكانت مع الرجل امرأته، فتعاهدا على أن لا يخون الرجل صاحبه، إلا أن السُليك لم يف بعهده، حيث تغافل صاحبه في مغيب له فاعتدى على زوجته، التي خوفت السليك بقومها، لكنه لم يبال بذلك وأنشأ يقول:

تهددني كي أحذر العام خثعماً

وقد علمتْ أني امرؤ غير مُسلم

وما خثعم إلا لئام أرقة

إلى الذل فالاسحاق تنمي وتنتمي

فبلغت قصيدته تلك: شبيل بن قلاه وأنس بن مدرك الخثعميين، فثارت حميتهما لقومهما، فانطلقا مع بعض قومهما في أثر السليك، الذي لم يرعه إلا وخيلهما قريب منه، فأنشأ يقول:

من مـبلغ حـرمي أني مـقـتـول
يا رب نهب قـد حـويت عـثكول[١]

ورب قـرن قـد تركت مـجـدول
ورب زوج قـد نـكحت عُطْبُـول[٢]

ورب عـان قـد فككت مكبـول
ورب وادٍ قـد قطعت مـسـيـول

فقال أنس عند ذاك لصاحبه: إن شئت اكفني القوم -أي قوم السُليك ممن كانوا معه- وأنا أكفيك الرجل.

ثم شد أنس على السليك فقتله، وقتل شبيل ومن معه أصحاب السليك، ثم قال أنس بعد ذلك عندما طُلب منه أن يدي[٣] السُليك: والله لا أديه، وأنشأ يقول:

كمْ من أخ كريم قد فـجـعـت به
ثم بقـيـت كـأنـي بعـده حـجـرُ

لا أسـتـكين على ريب الـزمـان ولا
أغـضي على الأمـر يأتي دونه القـدرُ

مـردى حـروب أدير الأمـر جـائلة
إذ بعـضـهم لأمـور تعـتـري جـزرُ

(١) أصل العثكول: عذق النخلة
(٢) العطبول: المرأة الحسنة.
(٣) أي يدفع دينه، وكان قود طلبها منه من أجار السليك .

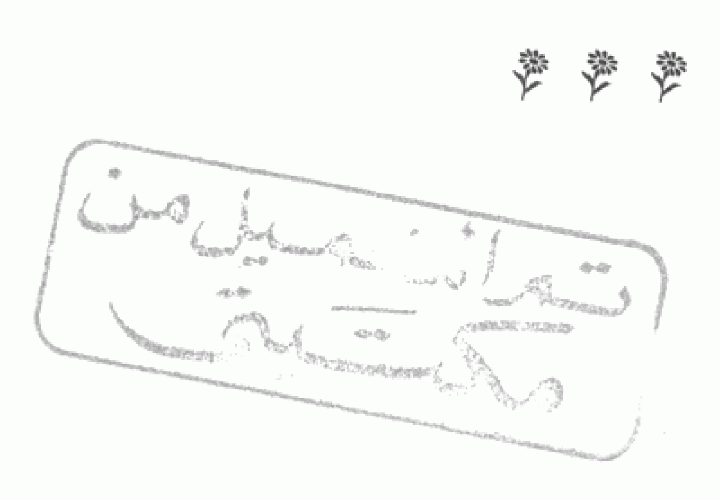
قد أطعن الطعنة النجلاء أتبعها
طرفاً شديداً إذا ما يشخص البصرُ

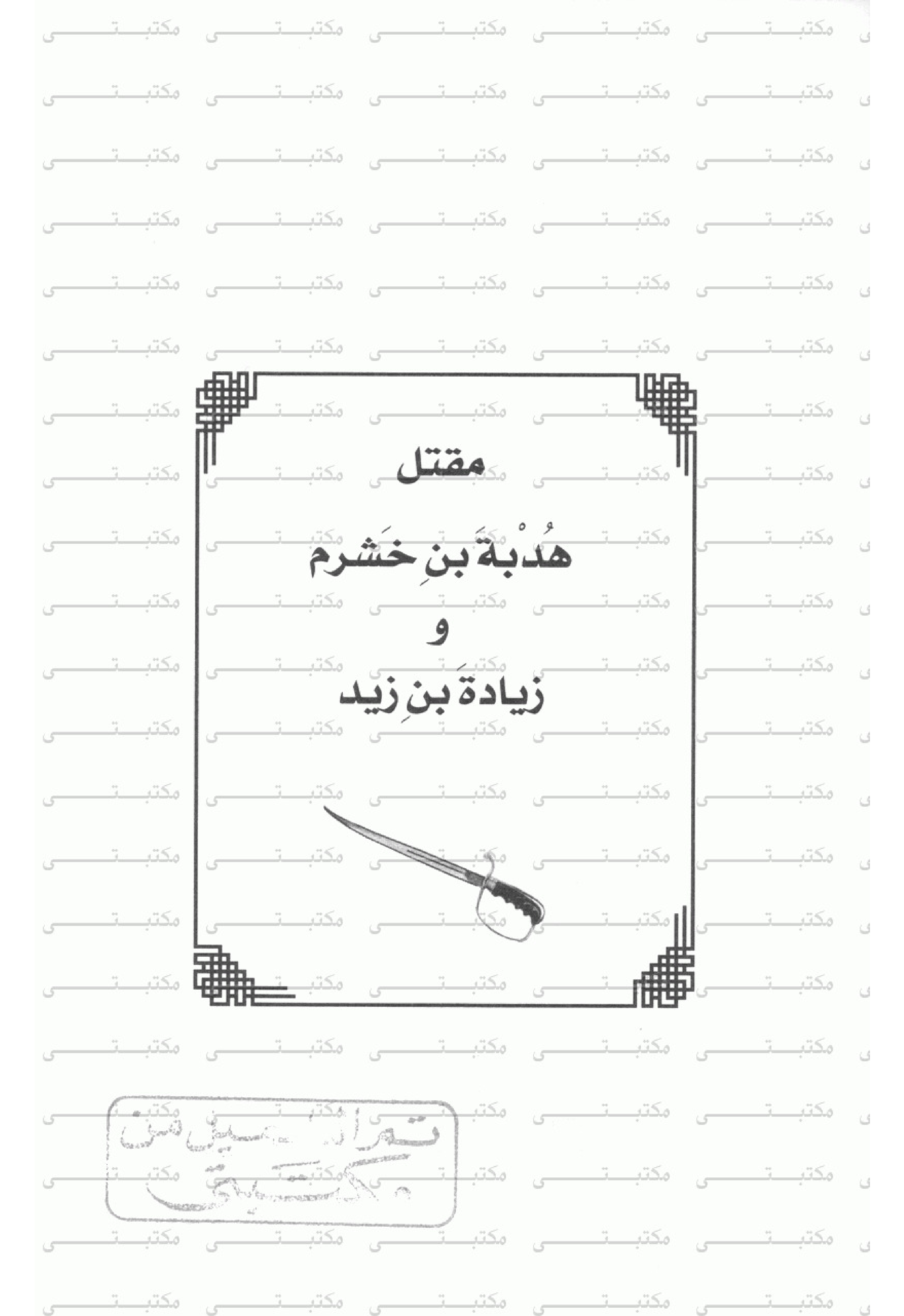
ويوم حمضة مطلوب دلفت له
بذات وَدقين لما يُعفها المطر

إني وعقلي سليكاً بعد مقتله
كالثور يُضرب لما عافت البقر

لقد أسرف السليك على نفسه باعتدائه على الآخرين، فكانت نهايته عقوبة من الله لكل من سعى بالفساد في الأرض.

* * *




مقتل
هُدْبةَ بنِ خَشرم
و
زيادةَ بنِ زيد

ترجمتهما[1]

أما أولهما فهو هُدبة بن خَشْرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن بن أسحم بن عامر بن ثعلبة، من عُذرة كان شاعراً فصيحاً من بادية الحجاز، راويةً للأشعار، وكان له ثلاثة أخوة كلهم شاعر: حوط وسيحان والواسع، وكانت حياته زمن خلافة معاوية رضي الله عنه.

وأما الآخر فهو زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن عمرو بن عبدالله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث، من بني رقاش.

مقتلهما بسبب قصائدهما:

تصاحب هدبة بن خشرم يوماً مع (زيادة بن زيد) وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما، فكانا يتعاقبان السوق بالإبل، وكان مع هُدبة أخته فاطمة، فنزل زيادة فارتجز وقال:

عوجي علينا واربعي يا فاطما
ما دون أن يُرى البعير قائما

ألا ترين الدمع مني ساجما
حذار دار منك لن تلائما[2]

---

(١) انظرها موسعة في : معجم الشعراء للمرزباني (٤٨٣)، وأسماء المغتالين، لأبي جفعر بن حبيب (نشره عبد السلام هارون في نوادر المخطوطات، المجلد الثاني)، والأغاني (٢١/٢٧٧-٢٩٨)، والشعر (ص ٤١٦).

(٢) أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه.

فعرّجت مطرداً عراهما

فعْماً يبذ القُطف الرواسما[1]

كأن في المثناة منه عائماً

إنك والله لأن تباغما[2]

خوداً كأن البوصي والمآكما

منها نقاً مخالطٌ حرائما[3]

خيرٌ من استقبالك السمائما

ومن منادٍ يبتغي علاكما[4]

فغضب هدبة حين سمع هذا الرجز من زيادة في أخته، فنزل وارتجز بأخت زيادة!، وكانت تدعى أم حازم، فقال:

لقد أراني والغلام الحازما

نزجي المطي ضُمَّراً سواهما

من تظنُ القلص الرواسما

والجلة الناجية العياهما[5]

(١) مطرد: أي متتابع السير. وعراهم: شديد، وفعم: ضخم . الرواسم: الإبل التي تسير سيراً فوق العَنقَ.
(٢) المثناة: الزمام. وعائم: سائح . وتباغم: تكلم.
(٣) البوصي: العجز. والمأكمتان: ما على يمين العجز وشماله، والنقا: ما عظم من الرمل. والصرائم: دونه في العِظَم.
(٤) العلاكم: الشديد الصلب.
(٥) العياهم : الشداد.

يبلغن أم حـــازم وحـــازمـــاً
إذا هبطن مستحيراً قـاتماً[١]

ورجع الحادي لها الهماهما
ألا ترين الحُـزن مني دائمـاً

حـــذار دار منك لن تلائمـا
والله لا يشفي الفؤاد الهائما

تمساحل اللبات والمآكـما
ولا اللمـام دون أن تلازمـا

ولا اللثـام دون أن تفـاقـمـا
ولا الفقام دون أن تُفاغما[٢]

وتعلو القوائم القوائما

فلما سمع زيادة هذا الرجز شتم هدبة وسبه، فرد عليه هدبة السب. فصاح بهما القوم: اركبا لا حملكما الله! فإنَّا قومٌ حجاج، وخشوا أن يقع بينهما شر، ووعظوهما؛ حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه. وهدبة أشدهما حَنَقاً؛ لأنه رأى أن زيادة قد ضامه؛ لأنه رجز بأخته وهي تسمع قوله، ورجز هو بأخت زيادة وهي غائبة لا تسمع قوله، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة؛ حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشائرهما.

---

(١) المستحير: الطريق الذي يأخذ في عرض مفازة ولا يدري أين منفذه.
(٢) الفقام : النكاح. والفغام: التقبيل.

ثم التقى نفر من بني عامر من رهط هدبة، فيهم أبوجبر، وهو رئيسهم الذي لا يعصونه، وخشرم أبو هدبة، وزفر عم هدبة، وهو الذي بعث الشر وحجاج بن سلامة، وهو أبوناشب، ونفر من بني رقاش رهط زيادة، وفيهم زيادة بن زيد، وإخوته: عبدالرحمن ونفاع وأدرع بواد من أودية حرتهم، فكان بينهم كلام، فغضب ابنا الغسانية، وهما أدرع وأبوجبر، وكان زفر عم هدبة يُعزى إلى رجل من بني رقاش، فقام أدرع فرجز به فقال:

أدوا إلينا زفرا نعرف منه النظرا وعينه والأثرا

فغضب رهط هدبة، وادعوا حداً على بني رقاش، فتداعوا إلى السلطان، ثم اصطلحوا على أن يُدفع إليهم أدرع، فلما خلوا به ضربوه الحد ضربا مبرحاً، فراح بنو رقاش وقد أضمروا الحرب وغضبوا، فقال عبدالرحمن بن زيد:

ألا أبلغ أبا جبر رسولا
فما بيني وبينكم عتابُ

ألا تعلم بأن القوم راحوا
عشية فارقوك وهم غضابُ

فأجابه الحجاج بن سلامة فقال:

إن كان ما لاقى ابن كنعاء مرغماً
رقاش فزاد الله رغماً سبالها

منعنا أخانا إذ ضربنا أخاكم

وتلك من الأعداء لا مثل مالها

وجعل هدبة وزيادة يتهاديان الأشعار، ويتفاخران، ويطلب كل واحد منهما العلو على صاحبه في شعره، فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها:

أراك خليلاً قد عزمت التجنبا

وقطعت حاجات الفؤاد فأصحبا[1]

منها قوله:

وأنك كالناسي الخليل إذ دنت

به الدار والباكي إذا ما تغيبا

وقد أعذرتْ صرف الليالي بأهلها

وشحط النوى بيني وبينك مطلبا[2]

فلا هي تألو ما نأت وتباعدت

ولا هو يألو ما دنا وتقربا

أطعتُ بها قول الوشاة فلا أرى الـ

وشاة انتهوا عنه ولا الدهرُ أعتبا

---

(١) أصحبت: ذل وانقاد

(٢) أعذرت مطلبا: أي بالغت في المطلب ولم تقصر.

فهلا صرَمتنا والحبال متينة

أميمة إنْ واش وشى وتكذّبا

إذا خفت شك الأمر فارم بعزمة

غيابته يركب بك الدهر مركبا

وإن وجهةٌ سدت عليك فروجها

فإنك لاقٍ لا محالة مذهبا

يُلام رجالٌ قبل تجريب غيبهم

وكيف يُلام المرء حتى يُجربا

وإني لمعراضٌ قليلٌ تعرضي

لوجهِ امرئ يوماً إذا ما تجنبا

قليل عثاري حين أذعر، ساكنٌ

جناني إذا ما الحرب هرت لتكلبا

بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل

قراه ونوبه إذا ما تنؤبا

ولا تنتجع شراً إذا حيل دونه

بسترٍ وهب أسبابه ما تهيبا

أنا ابن رقاش وابن ثعلبة الذي

بنى هادياً يعلو الهوادي أغلبا

بنى العز بنياناً ليومي فماصعوا[1]

بأسيافهم عنه فأصبح مُصعبا

(١) ماصعوا: قاتلوا وجالدوا.

فما إن ترى في الناس أماً كأمنا
ولا كأبينا حين ننسبه أبا

أتمّ وأنمى بالبنين إلى العُلا
وأكرم منا في المناصب منصِبا

مَلَكْنا ولم نُملك وقُدْنا ولم نُقَد
كأن لنا حقاً على الناس تُرتبا[1]

بآية أنا لا نرى متتوجا
من الناس يعلونا إذ ما تعصبا

ولا ملكاً إلا أتقانا بملكه
ولا سُوقة إلا على الخرج أتعبا

ملكنا ملوكاً واستبحنا حماهم
وكنا لهم في الجاهلية موكبا

ندامى وأردافاً فلم تر سوقةً
توازننا فاسأل إياداً وتغلبا

فأجابه هدبة، فقال:

تذكر شجواً من أميمة منصبا
تليداً ومنتاباً من الشوق مجلبا

---

(١) ترتب: ثابت لازم.

تذكر حباً كان في ميعة الصبا
ووجدا بها بعد المشيب معتبا
إذا كاد ينساها الفؤاد ذكرتها
فيالك ما عنّى الفؤاد وعذبا
غدا في هواها مُستكينا كأنه
خليعُ قداحٍ لم يجد متنشبا
وقد طال ما عُلقت ليلى مغمراً[1]
وليداً إلى أن صار رأسك أشيبا
رأيتك في ليلي كذي الداء لم يجد
طبيباً يداوي ما به فتطببا
فلما اشتفى ما به كر طبُه
على نفسه من طول ما كان جربا

فلم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فبيَّته فقتله، ثم هرب مخافة السلطان، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص، فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه، وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوساً حتى ذهب عبدالرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البينة، فأقامها، فمشت قبيلة هدبة إلى عبدالرحمن فسألوه قبول الدية فامتنع وقال:

---

(١) أي غير حدث.

أنختم علينا كلكل الحرب مرة

فنحن منيخوها عليكم بككلِ

فلا يدعُني قومي لزيد بن مالك

لئن لم أعجل ضربة أو أعجلِ

أبعد الذي بالنعف نعفُ كويكب

رهينة رمس ذى تراب وجندلِ

كريم أصابته ديات كثيرة

فلم يدرِ حتى حين من كل مدخلِ

أُذكر بالبقيا على من أصابني

وبقياي إني جاهدٌ غير مؤتلي

فكره سعيد الحكم بينهم، وأرسل بهم جميعاً إلى معاوية -رضي الله عنه- بالشام، فلما صاروا بين يدي معاوية قال عبدالرحمن أخو زيادة له: يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي، وقتل أخي، وترويع نسوتي.

فقال له معاوية: يا هدبة قل.

فقال: إن هذا رجل سجَّاعة، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت.

قال: لا بل شعراً.

فقال: هدبة هذه القصيدة ارتجالاً.

ألا يا لقـــومي للنوائب والدهر

وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري

وللأرض كم من صالح قد تأكمت

عليـه فـوارثه بلمـاعـة قـفـر

فـلا تتـقـي ذا هيـبـةٍ لجـلالـه

ولا ذا ضيـاع هـن يتـركن للفـقـر

حتى قال:

رميـنا فـرامـينا فـصادف رمـينا

منايا رجـال في كـتـاب وفي قـدر

وأنت أمــيـر المؤمنين فـمـا لنا

وراءك من معدى ولا عنك من قصر

فإن تك في أموالنا لم نضق بها

ذراعـاً وإن صبـرٌ فنصبـر للصبـر

فقال له معاوية: أراك قد أقررت بقتل صاحبهم، ثم قال لعبدالرحمن: هل لزيادة ولد؟ قال: نعم، المسور، وهو غلام صغير لم يبلغ، وأنا عمه ووليّ دم أبيه.

فقال: إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق، والمسور أحق بدم أبيه، فرده إلى المدينة، فحُبس هدبة ثلاث سنين، حتى بلغ المسور.

فقالت أم هدبة فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها:

أيا إخـوتي أهل المدينة أكـرمـوا
أسـيـركم إن الأسـيـر كـريم

فـرب كـريم قـد قـراه وضـافـه
ورب أمــــورٍ كـلـهـن عـظـيم

عصـا جلُّهـا يومـاً عليه فـراضه
من القـوم عـيّـافٌ أشم حليمُ

فأرسل هدبة العشيرة إلى عبدالرحمن مرة ثانية في أول سنة فكلموه، فاستمع منهم ثم قال:

أبعـد الذي بـالنعف نعف كـويكب
رهـيـنـة رمـس ذي تـرابٍ وجـنـدلِ

أُذَكَّـرُ بـالبـقـيـا على من أصـابني
وبقـيـاي أني جاهـدٌ غـيـر مـؤتلي

فـرجعوا إلى هدبة بالأبيات فقال لم يؤيسني بعدُ، فلما كانت السنة الثالثة بلغ المسور، فأرسل هدبة إلى عبدالرحمن من كلمه فأنصت حتى فرغوا، ثم قام مغضباً وأنشأ يقول:

سـأكـذبُ أقـوامـاً يقـولون إنني
سـآخـذ مـالاً من دم أنا ثائره

ونهض، فـرجعوا إلى هدبة فـأخبروه الخبـر فقال: الآن أيست منه.

وذهب عبدالرحمن بالمسور، وقد بلغ، إلى والي المدينة، وهو سعيد بن العاص، وقيل مروان بن الحكم، فأخرج هدبة للقتل فلما مضي به، التفت فرأى امرأته، وكانت من أجمل النساء، فقال:

أقلي عليَّ اللوم يا أم بوزعا
ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا[١]

كليلاً سوى ما كان من حد ضرسه
أكيبد مبطان العشيات أروعا[٢]

ضروباً بلحييه على عظم زوره
إذا الناس هشوا للفعال تقنعا

وحلي بذي أكرومة وحمية
وصبرٍ إذا ما الدهر عض فأسرعا

فجعل الناس يتعرضون له ويخبرون صبره: ويستنشدونه، فأدركه عبدالرحمن بن حسان، فقال له: يا هدبة، أتأمرني أن أتزوج هذه بعدك، يعني زوجته، وهي تمشي خلفه فقال: نعم، إن كنت من شرطها، قال: وما شرطها؟ قال: قد قلت في ذلك:

---

(١) الأنزع: من انحسر شعره عن جانبي جبهته.
(٢) أكيبد: تصغير أكبد، وهو من يشكو من وجع كبده، والأروع هنا الذي يسرع إليه الارتياع والخوف، ومبطان العشيات الضخم البطن من كثرة الأكل في العشية.

فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
وكوني حبيساً أو لأروع ماجدٍ
إذا ضن أعشاش الرجال تبرعا[1]

فمالت زوجته إلى جزار وأخذت شفرته، فجدعت بها أنفها، وجاءته تدمي مجدوعة فقالت: أتخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟.

فرسف في قيوده وقال: الآن طاب الموت.

ثم مضى يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه بأسوأ حال، فأقبل عليهما قائلاً:

أبليـاني اليـوم صبـراً منكمـا
إن حـزناً إن بدا بادئ شـر
لا أراني اليـوم إلا ميتـاً
إن بعـد الموت دار المستقـر
اصبـرا اليـوم فإني صابر
كل حي لقضـاءٍ وقـدرِ

فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية عنه، وقال له: أعطيك ما لم يُعطه أحد من العرب، أعطيك مائة ناقة حمراء

(١) الأروع هنا من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته، وقيل: الشهم الذكي الفؤاد. والأعشاش جمع عش وهو الطويل القليل اللحم، أو دقيق عظام اليد والرجل أو جمع العُشّ وهو عُش الطائر وشبههم.

ليس فيها جداء[1] ولا ذات داء، فقال له: والله لو نقبت لي قُبتك هذه، ثم ملأتها ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل سعيد يسأله ويعرض عليه فيأبى، ثم قال له: والله لو أردتُ قبول الديه لمنعني قوله:

لتجد عن بأيدينا أنوفكمُ
ويذهب القتلُ فما بيننا هدرا

فدفعه حينئذ ليقتله بأخيه.

فلما قُرِّب ليُقتل استأذن أن يصلي ركعتين، فأُذن له، فصلاهما وخفف، ثم التفت إلى من حضر وقال: لولا أن يُظن بي الجزع لأطلتهما، فقد كنتُ محتاجاً لإطالتهما، ثم أنشأ يقول:

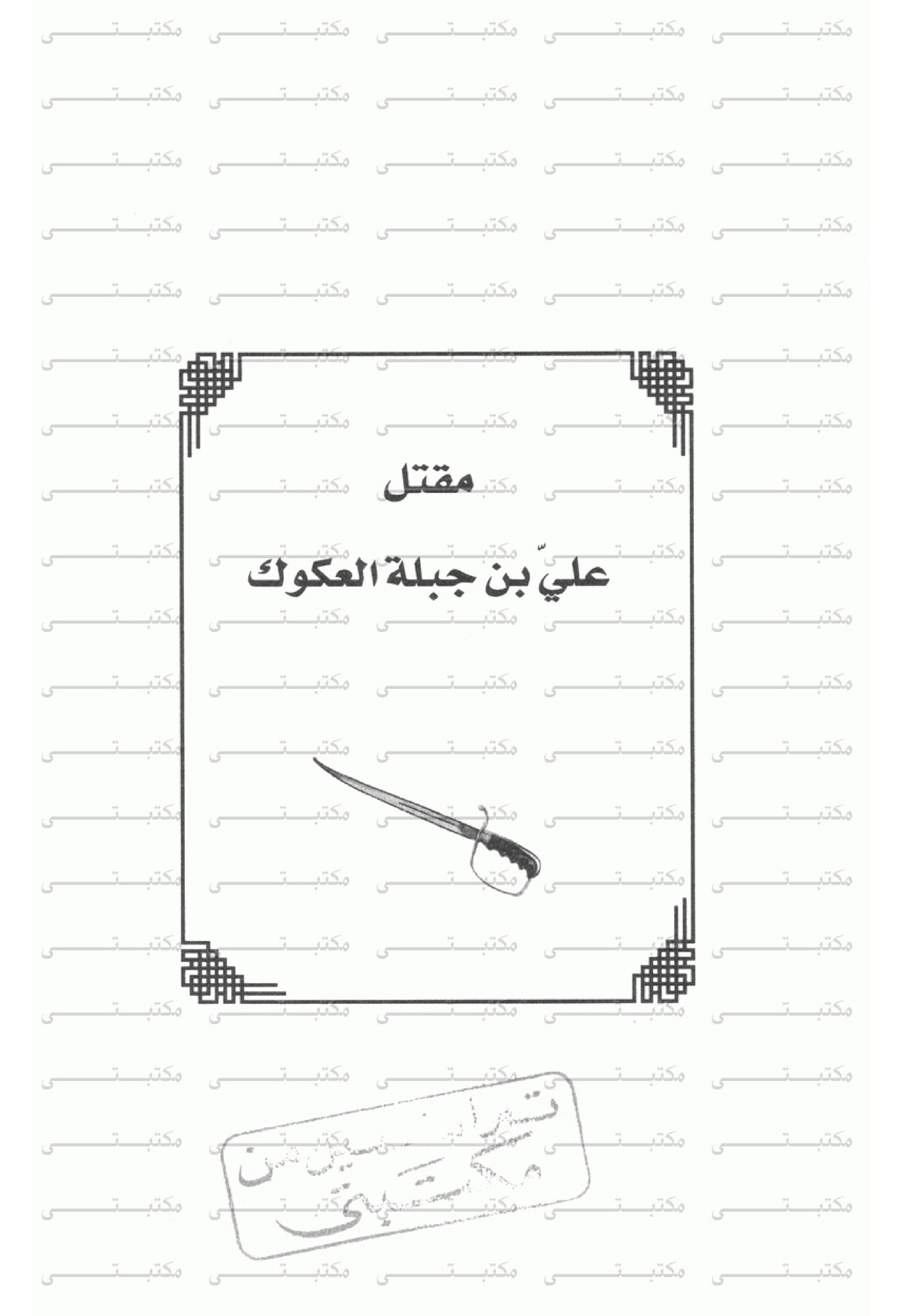
فإن تقتلوني في الحديد فإنني
قتلتُ أخاكم مطلقاً لم يُقَيَّد!

فقال عبدالرحمن أخو زيادة : والله لا أقتله إلا مُطلقاً من وثاقه، فأُطلق، فقام إليه وهز السيف ثم قال:

قد علمت نفسي وأنت تعلمه
لأقتلن اليوم من لا أرحمهْ



(١) الجداء: الناقة الذاهبة اللبن من عيب.



مقتل

عليّ بن جبلة العكوك

ترجمته

قال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني[(١)]:

هو عليُّ بن جَبَلَة بنِ عبدالله الأبناوي، ويكنى أبا الحسن، ويلقَّبُ بالعَكوَّك، من أبناء الشيعة الخُراسانية من أهل بغداد، وبها نشأ، وولد بالحربية من الجانب الغربي. وكان ضريراً، فذكر عطاء الملط أنه كان أكمه، وهو الذي يولد ضريراً، وزعم أهله أنه عمي بعد أن نشأ.

قصر شعره على أبي دُلف وحميد الطوسيّ:

وهو شاعر مطبوع، عذب اللفظ جزله، لطيف المعاني، مدّاح حسن التصرّف. واستنفد شعره في مدح أبي دُلف القاسم بن عيسى العجلي، وأبي غانم حميد بن عبدالحميد الطوسي، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل من أجله ربيعة على مضر، وجاوز الحدّ في ذلك، فيقال: إنّ المأمون طلبه حتى ظفر به، فسلَّ لسانه من قفاه؛ ويقال: بل هرب، ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه؛ وهذا هو الصحيح من القولين، والآخر شاذ.

---

(١) كتاب الأغاني ج ١٩، ص (٢٣٣) دار صادر.

اختلافه إلى مجالس الأدب:

أخبرني أحمد بن عبيدالله بن عمار الثقفي قال: حدثني الحسين بن عبدالله بن جبلة بن علي بن جبلة قال: كان لجدي أولاد، وكان علي أصغرهم، وكان الشيخ يرق عليه، فجُدِر فذهبت إحدى عينيه في الجدري، ثم نشأ فأسلم في الكتّاب، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان، فحمل على دابة ونثر عليه اللوز، فوقعت على عينه الصحيحة لوزة فذهبت؛ فقال الشيخ لولده: أنتم لكم أرزاق من السلطان، فإن أعنتموني على هذا الصبي، وإلا صرفتُ بعض أرزاقكم إليه. فقلنا: وما تريد؟ قال: تختلفون به إلى مجالس الأدب. قال: فكنّا نأتي به مجالس العلم ونتشاغل نحن بما يلعب به الصبيان، فما أتى عليه الحول حتى برع، وحتى كان العالم إذا رآه قال لمن حوله: أوسعوا للبنوي، وكان ذكياً مطبوعاً؛ فقال الشعر.

اتهم بانتحال قصيدته في أبي دُلف فنجح في الاختبار:

وبلغه أنّ الناس يقصدون أبا دلف لجُوده وما كان يُعطي الشعراء، فقصده، وكان يسمى العَكَوَّك، فامتدحه بقصيدته التى أولها:

ذاد ورد الغيِّ عن صدرهْ

وارعوى واللهو من وطرهْ

يقول فيها في مدحه:

يا دواء الأرض إن فسدت

ومديل اليُسر من عُسُرهْ

كل مـن في الأرض مـن عـــــرب
بـين باديـه إلـى حـــــضـــــرهْ

مـــســـتـــعـــيـــر منك مكرمـــة
يكتـــســـيـهـــا يوم مـــفـــتـــخـــرهْ

إنمـا الـدنـيـــــا أبـو دلـف
بـين مـــبـــداه ومـــحـــتـــضـــرهْ

فـــــــإذا ولـى أبـو دلـف
ولـت الـدنـيـــــا عـلـى أثـرهْ

فلما وصل إلى أبي دلف، وعنده من الشعراء وهم لا يعرفونه، استرابوه بها، فقال له قائده: إنهم قد اتهموك، وظنوا أن الشعر لغيرك، فقال: أيها الأمير، إن المحنة تزيلُ هذا ، قال: صدقت، فامتحنوه. فقالوا له: صف فرسَ الأمير، وقد أجَّلناك ثلاثاً، قال: فاجعلوا معي رجلاً تثقون به يكتب ما أقول. فجعلوا معه رجلاً، فقال هذه القصيدة في ليلته، وهي:

ريعت لمنشـور على مـفـرقـه
ذم لهـا عهـد الصبـا حين انتسبْ

أهدابُ شَـيبٍ جُـددٌ في رأسـه
مكروهةُ الجـدّة أضـاء العُـقبْ

أشـرقن في أسـود أزرين بـه
كـان دُحـاه لهـوى البـيض سببْ

واعـتـقن أيام الغـواني والصبـا

عن مـــيِّت مطلبُـــه حيٌّ الأدبْ

لم يزدجـر مُـرعـوياً حين ارعـوى

لكن يدٌ لم تـتـــصل بمطّلبْ

لم أر كـالشـيـب وقـارا يجـتـوى

وكـالشـبـاب الغض ظلاً يُستلبْ

فنازلٌ لم يبـــتــهـج بقـــربه

وذاهبٌ أبقـى جـــوى حين ذهبْ

كـــان الشــبـــاب لمة أزهى بهــا

وصـاحـبـاً حـرّاً عـزيز المصطَحبْ

إذ أنـا أجــري ســادراً في غــيـــه

لا أُعـتب الدّهر إذا الدّهـر عـتبْ

أبعـدُ شـأوَ اللهـوِ في إجــرائـه

وأقـصـدُ الخَـودَ وراء المحـتـجبْ

وأذعـــر الربربَ عـن أطفـــالـه

بأعـــوجـيٍّ دُلفـيٍّ المنتـــسـبْ

تحـســبــه من مـــرح العـزّ به

مـــستنفـــراً بروعـة أو ملتـهبْ

مـــــرتـهـج يرتـجُّ من أقـطـارِه

كالماء جالتْ فيه ريحٌ فاضطربْ

تحسبُه أقعد في استقباله
حتى إذا استدبرته قلت أكبْ

وهو على إهاقِه وطيّه
يقصرُ عنه المحزَمان واللببْ

تقول فيه حنب إذا انثنى
وهو كمتن القدح ما فيه حنبْ

يخطو على عوج تناهبن الثرى
لم يتواكل عن شظًى ولا عصبْ

تحسبها ناتئة إذا خطت
كأنها واطئة على الركبْ

شتا وقاظ برهتيه عندنا
لم يؤت من برٍّ به ولا حدبْ

يصانُ عصري حرِّه وقُرِّه
وتُقصر الخُورُ عليه بالحلبْ

حتى إذا تمتْ له أعضاؤه
لم تنحبسْ واحدة على عتبْ

رُمنا به الصيد فرادينا به
أوابد الوحش فأجدى واكتسبْ

محتدم الجري يباري ظله
ويُعرقُ الأحقبَ في شوطِ الخببْ

إذا تظنينا به صدَّقنا

وإن تظني فوته العَيرُ كذبْ

لا يبلغ الجهد به راكبُه

ويبلغ الريح به حيث طلبْ

ثم انقضى ذاك كأن لم يعنه

وكلّ بُقيا فإلى يوم عطبْ

وخلف الدهر على أبنائه

بالقدح فيهم وارتجاع ما وهبْ

فحمّل الدهر ابن عيسى قاسماً

ينهض به أبلجُ فرّاجُ الكربْ

كرونق السيف انبلاجاً بالندى

وكغراريه على أهل الريبْ

ما وسنتْ عينٌ رأتْ طلعته

فاستيقظتْ بنوبة من النوبْ

لولا ابن عيسى القرمُ كنا هملاً

لم يؤتثلْ مجد ولم يُرعَ حسبْ

ولم يقمْ في يومِ بأسٍ وندى

ولا تلاقى سببٌ إلى سببْ

تكاد تبدي الأرضُ ما تضمرُه

إذا تداعتْ خيلُه هلا وهبْ

ويستهلُّ أملاً وخيفةً
جانبُها إذا استهلَّ أو قطبْ
وهو وإن كان ابنَ فرعيْ وائل
فبمساعيه يوافى في الحسبْ
وبعُلاه وعُلا ابائه
تحوى غداة السبقِ أخطارُ القصبْ
يا زهرة الدُّنيا ويا باب النَّدى
ويا مجير الرُّعب من يوم الرَّهبْ
لولاك ما كان سدى ولا ندى
ولا قريش عُرفَت ولا العربْ
خذها إليك من مليء بالثنا
لكنّه غير مليء بالنَّشَبْ
فأثو في الأرضِ أو استفرز بها
أنتَ عليها الرأسُ والنّاسُ الذنبْ

قال: فلمّا غدا عليه بالقصيدة وأنشده إياها استحسنها من حضر، وقالوا: نشهد أن قائل هذه قائل تلك، فأعطاه ثلاثين ألف درهم. وقد قيل: إن أبا دلف أعطاه مئة ألف درهم، ولكن أراها في دفعات؛ لأنّه قصده مراراً كثيرة، ومدحه بعدّة قصائد.

المأمون يطلب سماع قصيدته في أبي دُلَف:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخفَّاف قال: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني أحمد بن أبي فنن قال: قال عبدالله ابن مالك: قال المأمون يوماً لبعض جلسائه: أقسم على من حضر ممن يحفظ قصيدة علي بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها، فقال له بعض الجلساء: قد أقسم أمير المؤمنين، ولا بدّ من إبراز قسمه، وما أحفظها، ولكنّها مكتوبة عندي. قال قم فجئني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها وهي:

ذاد ورد الغيِّ عن صدَرِه
وارعوى واللهوُ من وطرهْ

وأبت البكاءَ له
ضحكاتُ الشيبِ في شعرِهْ

ندمي أنّ الشبابَ مضى
لم أبلّغه مدى أشَرِهْ

وانقضتْ أيّامُه سَلَما
لم أجدْ حولاً على غِيَرِهْ

حسرت عنّي بشاشتُه
وذوى المحمودُ منْ ثمرهْ

ودمٍ أهدرتُ من رشأ
لم يُرد عقلاً على هدرهْ

فـــأتتْ دونَ الصّـــبـــا هنةٌ
قـلـبتْ فُـــوقي عـلـى وتـرهْ
جـــارتنا ليس الشـــبـــابُ لمن
راح مـــحنيّـــاً على كِـــبـــرهْ
ذهـبتْ أشـــيـــاء كنتُ لـهـــا
صـــارَها حلـمي إلى صـــورِهْ
دعْ جـــدا قـــحطانَ أو مُـــضـــرِ
في يمانيــــه وفي مـــضـــرِهْ
وامــــتـــدحْ منْ وائل رجـــلاً
عـــصـــرُ الآفـــاق في عـــصَـــرِهْ
المنايا في مـــقـــانبـــه
والعطايا في ذرا حُـــجـــرهْ
مــلــكٌ تــنــدى أنــامــلُـــه
كـــانبـــلاج النَّوء من مطرهْ
مـــســـتـــهل عن مـــواهبـــهْ
كـــابتـــســـامِ الروضِ عن زهـرهْ
جـــبلٌ عـــزّت مناكـــبُـــهْ
أمنتْ عـــدنانُ في ثغـــرِهْ
إنما الـدُّنـيـــــا أبـو دلـف
بين مـــبـــداهُ ومـــحـــتـــضـــرهْ

فـــــــإذا ولـى أبـو دُلـف

ولـت الـدنـيـــــا عـلـى أثـرهْ

لـستُ أدري مـــــا أقـــولُ لـه

غـيــرَ أنَّ الأرضَ فـي خـــفـــرهْ

يا دواءَ الأرضِ إن فــــســــدت

ومُــديل اليُــســرِ من عـــســرهْ

كلُّ مـن في الأرض مـن عـــربٍ

بـين باديـه إلـى حــــضـــــرهْ

مـــســتـعـيـرٌ منكَ مكرمـــةً

يكتـسـيهـا يوم مـفـتـخـرهْ

يقول فيها:

وزحــــوفٍ فـي صــــواهـلـهْ

كـصـيـاحِ الحـشـرِ في أثـرهْ

قـــدتَـهُ والموتُ مكتــــمـنٌ

في مــذاكـيـه ومــشـتـجـرهْ

فـــرمتْ جــيـلويه منـه يد

طـوت المنشــــور مـن نـظـرهْ

زرتـهُ والخــيـلُ عـــابســـةٌ

تحـملُ البـؤسى على عـقـرهْ

خـــارجـــات تحت رايتـــهـــا
كـــخـــروج الطيـــرِ منْ وكـــرِهْ

وعلى النُّعـــمـــانِ عـــجت به
عـــوجـــةً ذادته عن صـــدرِهْ

غـمطَ النُّعـمـانُ صـفـوتَها
فــرددتَ الصــفــوَّ في كــدرِهْ

ولقُـــرقـــورٍ أدرت رحـــاً
لـم تـكـنْ تـرتـدُّ فـي فـكـرِهْ

قـــد تأنّيتَ البـــقـــاءَ له
فـــأبى المحـــتـــومُ من قـــدرِهْ

وطغى حـــتى رفـــعتَ لـه
خـطة شنعـــاء من ذكـــرِهْ

قال: فغضب المأمون واغتاظ، وقال: لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه.

أنشدها أبا دُلَف بعد قتل قرقور:

قال: ابن أبي فَنَن: وهذه القصيدة قالها عليّ بن جبلة وقصد بها أبا دلف بعد قتله الصعلوك المعروف بقرقور، وكان من أشد الناس بأساً وأعظمهم. فكان يقطع هو وغلمانه على القوافل وعلى القرى، وأبو دلف يجتهد في أمره فلا يقدر عليه. فبينما أبو دلف خرج ذات يوم يتصيّد وقد أمعن في طلب الصيد وحده إذا بقرقور

قد طلع عليه وهو راكب فرساً يشق الأرض بجريه، فأيقن أبو دلف بالهلاك، وخاف أن يُوليَ عنه فيهلك؛ فحمل عليه وصاح: يا فتيان! يمنةً يمنةً، يوهمه أنّ معه خيلاً قد كمنها له، فخافه قرقورُ وعطف على يساره هارباً، ولحقه أبو دُلف فوضع رمحه بين كتفيه فأخرجه من صدره، ونزل فاحتزّ رأسه، وحمله على رمحه حتى أدخله الكرَج.

قال: فحدثني من رأى رمح قرقور وقد أدخل بين يديه يحمله أربعة نفر. فلما أنشده عليّ بن جبلة هذه القصيدة استحسنها وسرَّ بها وأمر له بمائة ألف درهم.

شهرة القصيدة:

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدَّثنا محمد بنُ يزيدَ الأزديّ قال: أخبرني إبراهيم بن خلف قال: بينا أبو دلف يسير مع أخيه معقل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مرّا بامرأتين تتماشيان، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو دُلف، قالت: ومن أبو دُلف؟

قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

إنّما الدُّنيا أبو دُلفٍ
بين باديه ومحتضَرِهْ

فإذا ولَّى أبو دُلَف
ولَّت الدُّنيا على أثرِهْ

قال: فاستعبر أبو دلف حتى جرى دمعه، فقال معقلُ: ما لك يا أخي تبكي؟ قال: لأني لم أقض حقَّ علي بن جبلة. قال: أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي علي أني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار. والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقّه.

أبو تمام يعجب ببيت له:

حدثني الحسن بن عليٍّ قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبدُالله بن محمد بن جرير قال: أنشدت أبا تمام قصيدة علي بن جبلة البائيّة، فلما بلغت إلى قوله:

وردّ البيضَ والبيضَ
إلى الأغماد والحُجُبِ

اهتز أبو تمام من فرقه إلى قدمه، ثم قال: أحسن، والله لوددتُ أنَّ لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيّرها وينتخبها مكانه.

شروط المأمون في مدحه:

أخبرني عمي قال: حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدَّثني أبو نزار الضبيُّ الشاعر قال: قال لي عليّ بنُ جبلة قلت لحُميد بن عبدالحميد الطُّوسيّ: يا أبا غانم، إني قد مدحتُ أمير المؤمنين بمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض، فاذكرني له. قال: فأنشدني، فأنشدته. قال: أشهد أنّك صادق، ما يحسن أحد أن

يقول هكذا. وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون، فقال له: يا حُميَد، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً لمديحه، وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أبي دلف وبين شعره فينا، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره، وأطلنا حبسه، وإن كان الذي قاله فينا أجود أعطيناه لكلّ بيت ألف درهم، وإن شاء أقلناه. فقلت له: يا سيدي ومن أنا ومن أبو دلف حتى يمدحنا بأجود من مديحك! فقال: ليس هذا الكلام من الجواب في شيء، فاعرض ما قلت لك على الرجل. فقال: أفعل. قال عليٌّ بنُ جبلة: فقال لي حميد: ما ترى؟ فقلت: الإقالة أحبّ إليَّ، فأخبرَ المأمون بذلك. فقال: هو أعلم، ثم قال لي حُميد: يا أبا الحسن أيَّ شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلف؟ فقلت: قولي فيك:

لولا حُمَيدٌ لم يكن
حسب يُعدّ ولا نسبْ

يا واحد العرب الذي
عزَّت بعزته العرب

وقولي في أبي دُلف:

إنّما الدُّنيا أبو دُلف
بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دُلف
ولَّت الدُّنيا على أثره

قال: فأطرق حُميد ثم قال: لقد انتقد عليك أميرُ المؤمنين فأجاد، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم. وبلغ ذلك أبا دُلف فأضعف لي العطيّة، وكان ذلك في سَتر منهما، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدَّثتك به يا أبا نزار.

يستحي من كثرة برّ أبي دُلَف:

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال: حدَّثني محمد بنُ يزيدَ: قال: حدَّثني عليُّ بن القاسم قال: قال لي عليّ بن جَبَلة: زرتُ أبا دُلَف، فكنتُ لا أدخل إليه إلا تلقاني ببرّه وأفرط، فلما أكثر قعدت عنه حياء منه. فبعث إليّ بمعقل أخيه، فأتاني فقال لي: يقول لك الأمير: لِمَ هجرتنا؟ لعلَّك استبطأت بعض ما كان مني، فإن كان الأمر كذلك فإني زائد فيما كنت أفعله حتى ترضى. فدعوت من كتب لي، وأمللت عليه هذه الأبيات، ثم دفعتها إلى معقل، وسألته أن يوصلها، وهي:

هجرتك لم أهجركَ من كُفر نعمةٍ
وهل يُرتَجَى نَيل الزيادة بالكُفرِ

ولكنّني لما أتيتُك زائراً
فأفرطت في برِّي عجزتُ عن الشكرِ

فملآن لا آتيكَ إلاّ مسلّماً
أزوركَ في الشهرين يوماً وفي الشهرِ

فــإن زدتني بـراً تزايدتُ جَـفــوة

ولم تلقني طول الحياة إلى الحشرِ

قال: فلمّا سمعها معقل استحسنها جداً، وقال: جوّدت والله، أما إنّ الأمير ليُعجب بمثل هذه المعاني، فلمّا أوصلها إلى أبي دُلَف قال؟ لله دَرّه! ما أشعره، وما أرقّ معانيه! ثم دعا بدواة، فكتب إليّ:

ألا ربّ ضيفٍ طارق قد بسطتُه

وآنستُه قبل الضيافة بالبشرِ

أتاني يرجّيني فما حال دونه

ودون القرى من نائلي عنده ستري

وجدتُ له فضلاً عليَّ بقصده

إليَّ وبرّاً يستحقُّ به شكري

فلم أعدُ أن أدنيتُه وابتدأتُه

ببشرٍ وإكرامٍ وبرٍّ على برٍّ

وزوّدتُه مالاً قليلاً بقاؤه

وزوّدني مدحاً يدومُ على الدّهرِ

ثم وجّه بهذه الأبيات مع وصيف يحمل كيساً فيه ألف دينار، فذلك حيث قلت له:

إنّما الدُّنيا أبو دُلَف

بين باديه ومحتضَرِهْ

ردّه عبدالله بن طاهر:

أخبرني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدثني أحمد بن القاسم قال: حدثني نادر مولانا: أنّ علي بن جبلة خرج إلى عبدالله بن طاهر والي خُراسان، وقد امتدحه، فلمّا وصل إليه قال له: ألستَ القائل:

إنما الدُّنيا أبو دُلف
بين باديه ومحتضرهْ
فإذا وَلَّى أبو دُلَف
ولَّت الدُّنيا على أثرهْ

قال: بلى، قال: فما الذي جاء بك إلينا، وعدل بك عن الدُّنيا التي زعمتَ؟ ارجع من حيث جئت، فارتحل، ومرَّ بأبي دُلَف وأعلمه الخَبر، فوصله بما أرضاه. قال نادر: فرأيته عند مولاي القاسم بن يوسف، وقد سأله عن خبره فقال:

أبو دلف إن تلقه تلق ماجداً
جواداً كريماً راجح الحلم سيّدا
أبو دلف الخَيراتِ أنداهمُ يداً
وأبسط معروفاً وأكرم محتدا
تراثُ أبيه عن أبيه وجدِّه
وكلّ امرئ يجري على ما تعوّدا

ولستُ بشاكٍ غيرَه لنقيصةٍ
ولكنّما الممدوحُ من كان أمجدا

قصيدة في مدح حميد الطُّوسيّ:

قال مؤلف هذا الكتاب: والأبياتُ التي فيها الغناء المذكورة بذكرها أخبار أبي الحسن عليّ بن جبلة من قصيدة له مدح بها حُميداً الطُّوسيّ، ووصف قصره على دجلة وقال فيها بعد الأبيات التي فيها الغناء:

ليس لي ذنب سوى أنّـ
ـي أُسميكَ خليلا
وأُناديكَ عزيزاً
وتناديني ذليلا
أنا أهواك وحالَيـ
ـك صَروماً ووَصولا
ثِق بودٍّ ليس يفنى
وبعهدٍ لن يحولا
جعل اللهُ حُميداً
لبني الدُّنيا كفيلا
ملك لم يجعل اللـ
ـه له فيهم عديلا

فأقاموا في ذراه
مطمئنين حُلولا

لا ترى فيهم مُقِلاً
يسأل المُثري فُضولا

جادَ بالأموال حتى
علَّم الجُودَ البخيلا

وبنى الفخرَ على الفخـ
ـرِ بناءً مستطيلا

صار للخائف أمناً
وعلى الجُودِ دليلا

رثاء الطُّوسيّ:

ولما مات حُميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة، وهي من نادر الشعر وبديعه، وفي أوّلها غناء من الثقيل الأوّل، يقال: إنّه لأبي العَنبَس، ويقال: إنّه للقاسم بن زرزور:

أللدَّهر تبكي أم على الدَّهر تجزعُ؟
وما صاحب الأيّام إلا مفجّعُ

ولو سَهَلَت عنك الأسى كان في الأسى
عزاء مُعزٍّ للبيب ومقنعُ

تعزَّ بما عزَّيتَ غيرك إنّها
سهام المنايا حائمات ووُقّعُ

أُصبنا بيوم في حُمَيدٍ لو انّه
أصابَ عروشَ الدَّهرِ ظلت تضعضعُ

وأدَّبنا ما أدّب الناسَ قبلنا
ولكنّه لم يبقَ للصبر موضع

ألم ترَ للأيامِ كيفَ تصرَّمتْ
به وبه كانتْ تُذادُ وتُدفَعُ

وكيف التقى مثوىً من الأرض ضيق
على جبلٍ كانتْ به الأرضُ تُمنعُ

ولمّا انقضتْ أيّامُه انقضتْ العلا
وأضحى به أنفُ النَّدى وهو أجدعُ

وراحَ عدوّ الدِّين جَذلانَ ينتحي
أمانيّ كانتْ في حَشاهُ تقطّعُ

وكان حُمَيد معقِلاً ركَعت به
قواعدُ ما كانتْ على الضيِّمِ تركعُ

وكنتُ أراه كالرزايا رُزِئتُها
ولم أدر أنّ الخلقَ يبكيه أجمعُ

حِمامٌ رماه من مواضع أمنه
حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقدعُ

وليس بغزو أن تصيب منية
حمى أختها أو أن يذلَّ المُمنَّعُ

لقـد أدركتْ فـينا المنايا بثـأرها
وحلَّت بخطب وهيُـه ليس يُرقَعُ

نَعاءِ حُـمـيداً للسـرايا إذا غـدتْ
تـذاد بـأطـرافِ الـرِّماح وتـوزعُ

وللمـرهق المكروب ضـاقت بأمـره
فلم يدر في حوماتها كيف يصنع

وللبيض خلَّتها البُعول ولم يَدع
لها غـيره داعي الصبـاح المفزَّعُ

كأن حُميداً لم يقُد جيش عسكر
إلى عـسكر أشـيـاعـه لا تُروَّعُ

ولم يبعث الخيلَ المغيرةَ بالضحا
مـراحاً ولم يرجع بها وهي ظلَّعُ

رواجع يحـملنَ النهاب ولم تكن
كـتـائبُـه إلا على النَّهبِ ترجعُ

هوى جبل الدنيا المنيعُ وغيثُها الـ
ـمريعُ وحاميها الكميُّ المشيعُ

وسـيفُ أمـيـر المؤمنين ورمـحُـه
ومفتاحُ بابِ الخطبِ والخطبُ أفظعُ

فـأقنعـه من مُلكِه ورباعـه
ونـائله قـفـرٌ من الأرض بلقعُ

على أيّ شجوٍ تشتكي النفسُ بعده
إلى شجوه أو يذخر الدَّمعَ مَدمعُ

ألم تَرَ أنَّ الشمس حال ضياؤها
عليه وأضحى لونها وهو أسفعُ

وأوحشت الدُّنيا وأودى بهاؤها
وأجدبَ مرعاها الذي كان يُمرعُ

وقد كانت الدُّنيا به مطمئنةً
فقد جعلت أوتادها تتقلعُ

بكى فقدَه روحُ الحياةِ كما بكى
نداه النَّدى وابنُ السبيل المدفّعُ

وفارقت البيضُ الخدورَ وأبرزت
عواطلَ حسرى بعده لا تقنعُ

وأيقظَ أجفاناً وكان لها الكرى
ونامت عيونٌ لم تكن قبلُ تَهجعُ

ولكنّه مقدارُ يوم ثوى به
لكل امرئ منه نهال ومشرعُ

وقد رأب الله الملا بمحمد
وبالأصل ينمي فرعُه المتفرّعُ

أغرّ على أسيافِه ورماحِه
تُقسَّم أنفال الخميسِ وتُجمعُ

حوى عن أبيه بذلَ راحته النَّدى
وطعنَ الكُلى والزاعبيّة شرَّعُ

أبو تمّام والبحتريّ يأخذان من معانيه:

وإنّما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها، وقد أخذ البحتريّ أكثر معانيها فسلخه، وجعله في قصيدتيه اللّتين رثى بهما أبا سعيد الثغريّ:

انظر إلى العلياء كيف تضامُ

و:

بأيّ أسى تثنى الدموع الهواملُ

وقد أخذ الطائي أيضاً بعض معانيها، ولولا كراهة الإطالة لشرحتُ المواضع المأخوذة. وإذا تأمّل ذلك منتقد بصير عرفه.

كرم حُميد سبب تجديده في مديحه:

أخبرني عمي قال: حدَّثنا أحمد بنُ أبي طاهر قال: حدَّثني أبو وائلة قال: قال رجل لعليّ بن جَبَلة: ما بلغت في مديح أحد ما بلغته في مديحك حُميداً الطُّوسيّ. فقال: وكيف لا أفعل وأدنى ما وصل إليّ منه أني أهديت له قصيدة في يوم نيروزٍ فسُرَّ بها، وأمر أن يحمل إليّ كلّ ما أُهديَ له، فحمل إليَّ ما قيمته مائتا ألف درهم، وأهديتُ له قصيدة في يوم عيد فبعث إليَّ بمثل ذلك.

وصف جيش عظيم:

قال أبو وائلة: وقد كان حُميد ركب يوم عيد في جيش عظيم ولم يُرَ مثله، فقال عليّ بن جبلة يصف ذلك:

غـــدا بأمـــيـــر المؤمنين ويُمنِه
أبو غانم غدوَ النَّدى والسحائبِ

وضاقت فجاج الأرض عن كل موكب
أحاط به مستعلياً للمواكب

كأن سُموّ النقع والبيضُ فوقهم
ســمـــاوة ليل قُــرّنت بالكواكب

فكان لأهل العيد عيدٌ بنُسكهم
وكان حُمَيد عيدَهم بالمواهبِ

ولولا حُمَيد لم تَبَلَّج عن النَّدى
يمينٌ ولم يُدرك غنى كسبُ كاسبِ

ولو ملَكَ الدُّنيا لما كانَ سائلٌ
ولا اعتامَ فيها صاحبٌ فضلَ صاحبِ

له ضحكة تستغرق المال بالنَّدى
على عبسةٍ تُشجي القَنا بالترائبِ

ذهبتَ بأيّام العـــلا فــارداً بهـــا
وصرَّمتَ عن مسعاكَ شأو المطالبِ

وعَدَّلت مَيل الأرض حتى تعدّلت
فلم يَنأ منها جانبٌ فوق جانبِ
بَلغتَ بأدنى الحزم أبعدَ قُطرها
كأنّك منها شاهد كلَّ غائبِ

قصيدة في يوم نيروز:

قال: والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها:

حُميدُ يا قاسم الدُّنيا بنائله
وسيفه بين أهل النكث والدِّينِ
أنت الزّمان الذي يجري تصرّفه
على الأنام بتشديد وتليينِ
لو لم تكن كانت الأيّام قد فَنيت
والمكرماتُ وماتَ المجد مُذ حينِ
صوَّرَك الله من مجدٍ ومن كرمٍ
وصوَّر النَّاسَ من ماء ومن طينِ

أبيات في أبي دُلف:

نسختُ من كتاب بخطّ محمد بن العبّاس اليزيديّ: قال أحمد بن إسماعيل بن الخصيب الكاتب: دخل عليُّ بن جبلة يوماً إلى أبي دُلف فقال له: هات يا عليُّ ما معك. فقال: إنّه قليل.

فقل: هاتِه، فكم من قليل أجودُ من كثير، فأنشده:

الله أجـرى من الأرزاق أكـثـرَها

على يديك فـشكراً يا أبا دُلَفِ

أعطى أبو دُلَف والرِّيحُ عـاصفـةٌ

حـتى إذا وَقَـفَت أعطى ولم يقِفِ

أبو دُلَف يتطيّر من شعره:

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلمّا كان بعد مدّة دخل إليه، فقال له: هات ما معك فأنشده:

مـن مَلَك الموتِ إلى قـاسم

رسـالـةٌ في بطن قِـرطاسِ

يا فـارس الفُـرسـانِ يوم الوغى

مُـرني بمَنْ شـئتَ من النّاسِ

قال: فأمر له بألفي درهم، وكان قد تطيّر من ابتدائه في هذ الشعر؛ فقال: ليست هذه من عطاياك أيّها الأمير، فقال: بلغ بها هذا المقدارَ ارتياعُنا من تحمّلك، رسالةَ ملك الموت إلينا.

هجاء الهيثم بن عديّ:

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال: حدَّثنا الحسنُ بن عُليل العَنَزِيُّ قال: حدثني محمد بن عبدالله قال: حدَّثني عليّ بن جبلة العكوك المروزي قال: جاءني أبو يعقوب الخُرَيمي فقال لي: إن لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال: تهجو لي الهيثم بن عديّ.

فقلت: وما لك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد فعلت، فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدّم إليّ منه إساءة، ولا له إليّ جرم يُحفظني؟ فقال: تُقرضني، فإني مليّ بالقضاء. قلت: نعم، فأمهلني اليوم فمضى وغدوت عليه فأنشدته:

للهيثم بن عديٍّ نسبة جمعت
آباءه فأراحتنا من العدد

اعدُد عدياً فلو مدّ البقاء له
ما عُمر النّاسُ لم ينقص ولم يزد

نفسي فداء بني عبدالمدان وقد
تلُّوه للوجه واستعلوه بالعمدِ

حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم
وعرفوه بذُلٍّ أين أصل عدي؟

يا ابنَ الخبيثةِ من أهجو فأفضحه
إذا هجوتُ وما تُنمى إلى أحدِ؟

هجاؤه يسبب طلاق امرأة الهيثم:

قال: وكان الهيثم قد تزوّج إلى بني الحارث بن كعب، فركب محمد بن زياد بن عُبيدالله بن عبدالمدان الحارثي، أخو يحيى بن زياد، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد، فسألوه أن يفرّق بينهما. فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر:

إذا نســبـت عــديّاً في بنـي ثُعَـلٍ

فقدّم الدالَ قبل العينَ في النّسبِ

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال: فهذا الشعر من قاله؟ قالوا: هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له: ذُهل بن ثعلبة، فأمر الرشيدُ داودَ بنَ زيدَ أن يُفرّقَ بينهما. فأخذوه فأدخلوه داراً وضربوه بالعصيّ حتى طلّقها.

مدحه عبدالله بن طاهر واستئذانه في الرحيل:

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعي قال: حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدَّثني محمدُ بنُ الحسن بن الخصيب قال: شخص عليّ بنُ جبلة إلى عبدالله بن طاهر والي خراسان، وقد مدحه فأجزل صلته، واستأذنه في الرّجوعِ، فسأله أن يقيم عنده، وكان برِّه يتصل عنده، فلمّا طال مقامه اشتاق إلى أهله، فدخل إليه فأنشده:

راعـــــه الـشــــيـبُ إذ نـزل

وكـــــفــــاه مـن الـعــــذَلْ

وانقـــضت مـــدّة الصّـبـــا

فـــانقـــضى اللهـــوُ والغـــزلْ

قـــد لعـــمـــري دَمَلـتُـــه

بخـــضــابٍ فــمـــا اندملْ

فــــابكِ لـلشـــــيب إذ بـدا
لا عـــلــى الــرَّبــعِ والــطــلــلْ
وصـــل الـــلــــه لـــلأمــــــ
ـيــــر عُــــرى الملك فـــاتصلْ
مـلـك عـــــزمُـــــه الزمــــان
نِ وأفـــــعــــــاله الـدولْ
كـــــســــرويّ بمَـجــــده
يَـضـــــرب الـضــــاربُ المثـلْ
وإلـــى ظِــلّ عـــــــــزّه
يـلجـــأُ الخـــائف الوجِـلْ
كـلُّ خَـلـق ســـــوى الإمــــا
مِ لإنـعــــامـــــه خَـــــولْ
لـيـــتـــه حين جــــادَ لـي
بـالـغـنـى جـــادَ بـالـقَـــفَـل

قال: فضحك وقال: أبيت إلاّ أن توحشنا. وأجزل صلته، وأذن له.

مدح حميد في أوّل رمضان:

أخـبـرني الحسنُ بن عليّ قـال: حـدَّثني أحمـدُ بن أبي طاهر قـال: حدَّثني أبو وائلة السدوسيُّ قال: دخل عليُّ بن جبلة العكوكُ على حميد الطُّوسيّ في أول يوم من شهر رمضان، فأنشده:

جعل الله مدخل الصوم فوزاً

لحميد ومتعة في البقاءِ

فهو شهر الربيع للقراء

وفرق النَّدمان والصهباءِ

وأنا الضَّامنُ المليُّ لمن عا

قرها مفطراً بطولِ الظَّماءِ

وكأنِّي أرى النَّدامى على الخسـ

ـفِ يُزجو صبحهم بالمساءِ

قد طوى بعضُهم زيارة بعض

واستعاضوا مصاحفاً بالغناءِ

يقول فيها:

بحميدٍ وأين مثلُ حميد

فخرت طيِّىء على الأحياءِ

جوده أظهر السماحةَ في الأر

ضِ وأغنى المُقوي عن الإقواءِ

ملكٌ يأمُل العباد نداه

مثلَ ما يأمُلون قَطر السماءِ

صاغه الله مطعم الناس في الأر

ضِ وصاغَ السحابَ للإسقاءِ

يمدحه في شوال:

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: استعن بهذه على نفقة صومك. ثم دخل إليه ثاني شوال، فأنشده:

علّلاني بصفو ما في الدّنانِ
واتركا ما يقوله العاذِلانِ

واستبقا فاجع المنّية بالعيـ
ـشِ فكلٌّ على الجَديدين فاني

علّلاني بشربةٍ تُذهب الهَمَّ
وتنفي سوارقَ الأحزانِ

وانفُثا في مسامعٍ سدّها الصو
م رُقى الموصليّ أو دَحمانِ

قد أتانا شوال فاقتبل العيـ
ـش وأعدى قسراً على رمضانِ

نِعم عون الفتى على نُوَب الدهـ
ـر سماعُ القيانِ والعِيدانِ

وكؤوسٌ تجري بماء كُرومٍ
ومطيُّ الكؤوس أيدي القيانِ

من عُقار تُميت كلّ احتشام
وتسُر النَّدمانَ بالنَّدمانِ

وكـــأنّ المزاج يقـــدحُ منهـــا
شـــرراً في ســبــائك العِـقــيـانِ

فاشرب الرَّاح واعص من لام فيها
إنهـــا نعم عُـــدّة الفـــتـــيـانِ

واصـــحـب الدَّهـر بارتجـــال وحَلّ
لا تخف مـــا يجـــره الحـــادثانِ

حسب مستظهرٍ على الدَّهرِ ركناً
بحُـــمـــيـــد رِداءً من الحـــدثانِ

مـلـك يقــــتـنـي المكارم كنـزاً
وتـراه مـن أكـــرم الفـــتـــيـانِ

خُلقت راحـــتـــاه للجـــود والبـــأ
س وأمـــوالـه لشكـر اللســـانِ

ملّكتـــه على العـــبـــاد مـــعـــدٌ
وأقـــرّت له بنو قـــحـطـانِ

أريحيٌّ النَّدى جـمـيـل المحـيّـا
يده والسّـمـــاح مـــعـــتـــقـدانِ

وجـهـه مـشـرق إلى مـعـتـفـيـه
ويداه بالغـــيـث تنفـــجـرانِ

جـعـل الدَّهـر بين يومـيـه قـسـمـيـ
ـن بعُـرفٍ جـزل وحـرٍّ طعـانِ

فإذا سارَ بالخميس لحرب
كلّ عن نصّ جريه الخافقانِ

وإذا ما هززته لنوال
ضاق عن رحب صدره الأُفقانِ

غيث جدب إذا أقامَ ربيعٌ
يتغشّى بالسيب كل مكانِ

يا أبا غانم بقيتَ على الدّهـ
ـر وخلّدت ما جرى العصرانِ

ما نُبالي إذا عدَتك المنايا
من أصابت بكلكل وجرانِ

قد جعلنا إليك بعثَ المطايا
هرَباً من زماننا الخوّانِ

وحملنا الحاجات فوق عتاق
ضامناتٍ حوائج الرُّكبانِ

ليس جود وراء جودك يُنتا
ب ولا يعتفي لغيرك عاني

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم، فخفّفت وخفّفنا، وهذه للفطر، فقد زدتنا وزدناك.

أحبته جارية رغم قبحه:

أخبرني عمِّي قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ الطيّب السَّرخسيّ قال: حدَّثنا ابنُ أخي عليّ بن جَبَلَة العكوكِ، قال أحمد: وكان عليّ جارنا بالربض هو وأهله، وكان أعمى وبه وضَح. وكان يهوى جارية أديبة ظريفة شاعرة وكانت تحبّه هي أيضاً على قبح وجهه وما به من الوضَح، حدَّثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظُ.

قال عمرو: وحدَّثني العَكَوَّك أنّ هذه الجارية زارته يوماً وأمكنته من نفسها حتى افتضّها. قال، وذلك عنيت في قولي:

ودمٍ أهدرت من رشا

لم يُرِد عقلاً على هَدَرِهْ

حُميد يمنعه ثم يأذن له:

وهي القصيدة التي مدح بها أبا دُلَف، يعني بالدّم: دم البُضع. قال: ثم قصدتُ حُميداً بقصيدتي التي مدحته بها، فلمّا استؤذن لي عليه أبى أن يأذَن لي، وقال: قولوا له: أيَّ شيء أبقيت لي بعد قولك في أبي دُلَف:

إنما الدُّنيا أبو دُلَف

بين مَبداه ومحتضرِه

فإذا ولى أبو دُلف

ولَّت الدُّنيا على أثرهْ

فقلت: للحاجب: قُل له: الذي قلت فيك أحسن من هذاو فإن وصَّلتَني سمعته، فأمر بإيصالي، فأنشدت قولي فيه:

إنما الدُّنيـا حُـمَـيـد
وأيـاديـه الجـسـامُ

فـإذا ولَّـى حُـمَـيـد
فـعلى الدُّنيـا السَّـلامُ

فأمر لي بمائتي دينار، فنثرتها في حجر عشيقتي، ثم جئته بقصيدتي التي أقول فيها:

دجلـةُ تسـقي وأبـو غـانمٍ
يُطعمُ مَن تسـقي من النّاسِ

فأمر لي بمائتي دينار.

تغيّر الجارية التي أحبّته:

حدَّثني عمِّي قال: حدَّثني أحمدُ بن الطيب قال: حدثني ابن أخي عليِّ بن جبلة أيضاً: أنّ عمّه عليّاً كان يهوى جارية، وهي هذه القينة، وكانت له مساعدة، ثم غضبت عليه، وأعرضت عنه، فقال فيها:

تُسيءُ ولا تستنكرُ السوءَ إنّها
تُدلّ بما تبلوه عندي وتَعـرِفُ

فمن أين ما استعطفتها لم ترقَّ لي
ومن أين ما جربتُ صبريَ يضعفُ

في ترك الضيافة:

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال: تذاكرنا يوماً أقبح ما هُجي به النّاس في ترك الضيافة وإضاعة الضيف، فأنشدنا عليٌّ بن جبلة لنفسه:

أقــامــوا الدّيدَبان على يَفــاعِ
وقـــالوا لا تَنم للدّيدبانِ

فإن آنستَ شخصاً من بعيد
فصفّق بالبنان على البنانِ

تراهم خشية الأضياف خُرساً
ويأتونَ الصـــلاةَ بلا أذانِ

حميد يعطيه مالاً خصّصه للصدقة:

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدثني محمدُ بن القاسم بن مهرويه قال: حدَّثني أبي قال: حدثني وهب بن سعيد المروزيُّ، كاتب حُميد الطُّوسيّ، قال: جئت حُميداً في أول يوم من شهر رمضان، فدفع إليّ كيساً فيه ألف دينار، وقال: تصدَّقوا بهذه. وجاءه ابنه أصرمُ فسلَّم عليه ودعا له، ثم قال له: خادمك عليٌّ بن جبلة بالباب، فقال: وما أصنع به؟ جئتني بأعمى تقابلني بوجهه في أول يوم من هذا الشهر. فقال: إنّه يجيد فيك القول. قال: فأنشدني بيتاً مما تستجيد له: فأنشده قوله:

حيدي حَيادِ فإنّ غزوةَ جيشه

ضمنَت لجائلةِ السّباعِ عِيالها

فقال: أحسن. ائذنوا له، فدخل فسلَّم، ثم أنشده قوله:

إنا أبا غانم حُميداً

غيث على المعتفين هامي

صوَّره الله سيفَ حَتف

وباب رزق على الأنام

يا مانعَ الأرضِ بالعوالي

والنَّعم الجمة العظامِ

ليس من السَوءِ في مَعاذ

من لم يكن منك في ذِمامِ

وما تعمَّدتُ فيكَ وصفاً

إلا تقدَّمته أمامي

فقد تناهت بك المعالي

وانقطعت مدّةُ الكلامِ

أجِدَّ شهراً وأبلِ شهراً

واسلم على الدَّهر ألفَ عامِ

قال: فالتفت إليَّ حُميد، وقال: أعطه ذلك الألف الدينار حتى يَخرج للصدقة غيره.

يتشفّع بحميد إلى أبي دُلَف:

حدَّثني عمِّي قال: حدَّثني يعقوبُ بن إسرائيل قال: حدَّثني أبو سُهيل عن سالم مولى حُميد الطوسيّ قال: جاء عليّ بنُ جَبَلة إلى حُمَيد الطُّوسيّ مستشفعاً به إلى أبي دُلَف، وقد كان غضب عليه وجفاه، فركب معه إلى أبي دُلَف شافعاً، وسأله في أمره، فأجابه واتصل الحديث بينهما وعليٌّ بن جبلة محجوب، فأقبَل على رجل إلى جانبه وقال: أكتب ما أقول لك، فكتب:

لا تتـركني ببـاب الدّار مطّرحـاً
فالحرُّ ليسَ عن الأحـرار يحتجبُ
هبنا بلا شـافع جـئنا ولا سـبب
ألستَ أنت إلى معـروفك السببُ؟

قال: فأمر بإيصاله إليه، ورضي عنه ووصله.

المخزومي يتحرج من الإنشاء في حضرته:

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدَّثنا ابنُ مَهرُوَيه قال: حدَّثني أحمد بن مروان قال: حدَّثني أبو سعيد المخزومي قال: دخلت على حُميد الطوسي، فأنشدته قصيدة مدحتُه بها وبين يديه رجل ضرير، فجعل لا يمرّ ببيت إلاّ قال: أحسن قاتله الله! أحسن وحيه! أحسن لله أبوه! أحسن أيّها الأمير. فأمر لي حُمَيد ببِدرة، فلمّا خرجتُ قام إليَّ البوّابون، فقلت: كم أنتم؟ عرِّفوني أوّلاً مَن هذا

المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير؟ فقالوا: عليُّ بنُ جبلة العكوك. فارفضضت عرقاً، ولو علمتُ أنّه عليّ بن جبلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه.

رواية أخرى في شروط المأمون لقبول مدحه له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهرُويه قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ عُبيد بن ناصح قال: كلَّم حُميد الطُّوسيّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بنُ جبلة، فيسمعَ منه مديحاً مدحه به، فقال: وأيّ شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دُلَف:

إنّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ
بين مَغزاه ومحتضرِهْ
فإذا وَلّى أبو دُلَف
ولّتْ الدُّنيا على أثرِهْ

وبعد قوله فيك:

يا واحد العرَب الذي
عزّت بعزّتِه العَرَبْ

أحسن أحواله أن يقول فيَّ مثل ما قاله في أبي دُلَف، فيجعلني نظيراً له. هذا إن قدَر على ذلك ولم يقصر عنه، فخيَّروه بين أن أسمع منه، فإن كان مدحهُ إيّاي أفضل من مدحِهِ أبا دُلَف

وصلته، وإلاّ ضربتُ عنقه أو قطعت لسانه، وبين أن أُقيله وأعفيه من هذا وذا. فخيَّروه بذلك، فاختار الإقالة.

يمدح حميداً الطُّوسيّ بخير من مدحه أبا دُلَف:

ثم مدح حميداً الطوسي، فقال له: وما عساك أن تقول فيَّ بعدما قلته في أبي دُلَف، فقال: قد قلت فيك خيراً من ذلك قال: هات، فأنشده:

دجلة تَسقي وأبو غانمٍ
يُطعمُ من تسقي من النَّاسِ
النَّاسُ جسمٌ وإمامُ الهُدى
رأس وأنتَ العينُ في الراسِ

فقال له حميد: قد أجدتَ، ولكن ليس هذا مثل ذلك، ووصله.

لا يبلغ شأو الخريميّ في الرثاء:

قال أحمد بن عُبيد، ثم مات حُميد الطُّوسيّ، فرثاه عليّ بن جَبَلة، فلقيتُه، فقُلت له: أنشدني مرثيتك حُمَيداً، فأنشدني:

نَعاء حُميداً للسرايا إذا غدَت
تُذاد بأطراف الرِّماحِ وتوزعُ

حتى أتى على آخرها، فقلت له: ما ذهب على النحو الذي نحوتَه يا أبا الحسن، وقد قاربته وما بلغته. فقال: وما هو؟ فقُلت: أردتُ قول الخُرَيمي في مرثيته أبا الهَيذام:

وأعـــددتُه ذخـــراً لكلّ مُلمــــة

وســهم المَنايا بالذخـائرِ مُـولعُ

فقال: صدقت والله، أما والله لقد نحوتُه وأنا لا أطمع في اللَّحاق به، لا والله ولا امرؤ القيس لو طلبه وأراده ما كان يطمع أن يقاربه في هذه القصيدة.

غضب المأمون عليه:

أخبرني عمِّي قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدَّثني ابنُ أبي حرب الزعفرانيّ، قال: لمّا بلغ المأمونَ قول عليّ بن جَبَلة لأبي دُلَف:

كلُّ مـن في الأرض مـن عَــــرَب

بـين باديـه إلـى حــــضــــرهْ

مـــســتــعــيــر منكَ مكرمـــةً

يكتـــســيــهـــا يومَ مــفــتــخَــرهْ

غضب من ذلك، وقال: اطلبوه حيث كان، فطُلب فلم يُقدَر عليه، وذلك أنّه كان بالجَبَل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة أيضاً، وتوسّط الشّام فظفروا به، فأخذوه، وحملوه إلى المأمون، فلمّا صار إليه قال له: يا ابن اللَّخناء، أنتَ القائل للقاسم بن عيسى:

كلُّ من في الأرض من عَـرَب
بين باديه إلى حضرهْ
مستعير منكَ مكرمةً
يكتسيها يومَ مفتخَرهْ

جعلتنا مِمّن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاسُ بكم أحد؛ لأنّ الله جلَّ وعزَّ فضَّلكم على خلقه، واختاركم لنفسه، وإنّما عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه. فقال: والله ما استثنيتَ أحداً عن الكلّ، سُلّوا لسانه من قفاه.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدَّثنا محمدُ بن موسى قال: وحدَّثني أحمد بنُ أبي فَنَن: أنَّ المأمون لمّا أُدخِل عليه عليّ بنُ جَبَلة قال له: إنّي لست أستحلُّ دمَك لتفضيلك أبا دُلَف على العرب كلّها وإدخالك في ذلك قريشاً، وهم آل رسول الله ﷺ وعترتُه، ولكنّي أستحلّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركت فيه:

أنت الذي تنزل الأيّامَ منزلها
وتنقل الدهرَ من حال إلى حالِ
وما مددْتَ مَدى طَرف إلى أحدٍ
إلاّ قضيت بأرزاق وآجالِ

كذبتَ يا ماصَّ بَظْر أُمِّه، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله، عزَّ وجلَّ، الملك الواحد القهّار. سُلّوا لسانه من قفاه.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

